

جمادى الثانية الموافق لشهر أفريل 2016

عدد خاص

- قصيدة ابن دقيق العيد المالكي
- الرواة الأوائل لصحيح البخاري من علماء الجزائر
- تأليف في مسألة الوزيعة

حوارٌ مع الإمام ابن باديس

- نماذج من نصوص الإجازات العلمية
- محاورات ومباحثات في علم الكلام
  الخلاف بين الشيخين ابن زكري والسنوسي
- بداية الطباعة وظروف ظهورها بالجزائر


منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

يأتي هذا العددُ من "مجلة العصر" تحت إشراف ورعاية معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف **الدكتور محمد عيسى** وفقه الله، بثوب جديد بعد انقطاع زاد على عشرية كاملة، في زمن تتداعى الأمم الأخرى على الأمة الإسلامية كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها، زمن الفتن والأمور العظيمة التي أخبر الصادقُ المصدوق أنها كائنة بين يدي الساعة.

وعملاً على ما يتعينّ من مصالحة المجتمع الجزائري مع تديّنه، ودرءًا للجهل والشبهات مما شيب به المشهد الفكري والثقافي من آفات تحت مسمّى العولمة، يأتي تخصيصُ هذا العدد بطابع (العلم والحكمة) كأول خطوة بين يدي الرجوع إلى الأمر الأول، وهو طريق العودة إلى محاسن الإسلام ، دين البشرية جمعاء، والتفقه في أموره، فإن ذلك أفضل ما تربّى عليه المسلم في هذا الوقت، رجلا كان أو امرأة، كبيرًا أو صغيرًا.

ولمغربنا العربي الإفريقي وحدةٌ وعمقٌ تاريخي يشهد لهما تراثُنا العتيق، لكن بات حبيسًا أو مجهولاً، وقد حان الوقت من أجل توظيف هذا التراث الجيّد وتفعيله لإرشاد الأجيال المتلاحقة، ليدرك أن الخَلَف لا يمكن أن يصلح إلا بما اتبع فيه جادّة صالحي السلف.

ومن حبّ الوطن، وتثبيتًا لقيم المواطنة تعيّن الاهتمامُ بتاريخ من غَبَر من الأئمة والصالحين والعلماء والرؤساء، وإن جهل الأمّة بآثار أولئك التي تدعم مرجعيتنا الدينية اللغوية والوطنية، لداءٌ لا دواء له سوى تنصيب دواوين مآثرهم الأدبية والفقهية والعلمية والسلوكية والحُكمية مدارسًا لتعليم الجهاد في سبيل الحياة.



وقد كان ينبغي أن يكون واقعنا –كما كان في قرون قريبة خلتْ– حافلاً بالطموح والمشاريع الخيرية، تحقيقًا لمقاصد الشريعة في حفظ الكليات الخمسة: **الدين، النفس، النسل، المال، والعقل.**

يأتي هذا العددُ أيضًا في شكله وهيئته وتحسيناته، نُصْرَةً للحرف العربي، ودفاعًا عن اللغة العربية، وتدعيما للمجلاّت التربوية والإصلاحية والفكرية والثقافية الإسلامية، التي باتتْ تصدر على استحياء.

وإن إنعاش هذه الحركة وتعميمَها خصوصًا بين الشباب المتعطش إلى علوم القرآن وصحيح السنة النبوية، وسير السلف وأخبارهم، لرسالة نبيلة لعلّنا نوفّق في تأدية بعضها.

سدّد الله أقوالنا وأخلص أعمالنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه.





مجلة ثقافية فكرية متنوعة شعارها:

الحق في المعرفة

تصدرها المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية EPIC
مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري
تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

ISSN-1111-0651

المدير العام / مسؤول النشر:
أ.عبد الرحمن حمّادو

الإشراف الفني والتقني:
كمال بريخ

الإدارة والتحرير:
01، نهج محمّد عليلات، القبة - الجزائر 16006.

هاتف: **0662 80 17 65**
E-mail: **asr.algerie@live.fr**

رقم الحساب الجاري البريدي:
C.C.P(RIP) 00799999000035379210
رقم الحساب البنكي:
B.N.A (RIB)00100605030000389322
وكالة605، 8شارع الحرية - الجزائر.

توجيهات إلى السادة الكتاب

- الوثائق والمقالات والصور التي تصل إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- الآراء التي تنشر في المجلة لا تعبر سوى عن رأي أصحابها، ولا تُلزم المجلة في شيء.
- المقالات الموجهة للنشر يجب أن تحمل أسماء كتّابها الحقيقيين، وأن ترفق بصورة من بطاقة الهوية.
- يراعى جانب الإبداع في الكتابة مع التحلي بالجدية والموضوعية.
- المقالات ينبغي أن تتسم بالتركيز والإيجاز، وما إلى ذلك من مقاصد التأليف.
- يتحلى الكتّاب بالأمانة في نقل النصوص مع العزو للمؤلف والكتاب بتعيين الجزء والصفحة ودار النشر، أو مكان الحفظ بالنسبة للوثائق المخطوطة.
- تخريج الآيات القرآنية، تخريجا دقيقا.
- تخريج الأحاديث النبوية وآثار السلف، وكذا الروايات التاريخية تخريجا مختصرا.
- تقديم النصوص مرقونة مرفقة بملحقاتها من الصور الرقمية على مفتاح فلاش أو قرص مضغوط، ويكتفى بإرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلة.

الفهرس

لقاء العدد







40



4



44



34



16



الثاني من كتاب الجامع

6





حِوارٌ مع الإمام ابن باديس

إعداد : عبد الرحمن دويب | باحث في التراث الجزائري

مِن الوثائق النادرة [1] التي لم تُستثمر في مجال البحث والدِّراسة مِن قِبَل المهتمِّين بأدبيات الحركة الإصلاحية والوطنية بالجزائر، ولم تُستغلَّ مِن طرفِ الباحثين في مجال العلاقات المتينة التي كانت تربط بين الشَّعبَين الشقيقَين الجزائر وتونس، هذا الحوار الفَريد الذي نشرته صحيفة (السردوك) التونسية بمناسبة زيارة الإمام ابن باديس لـ: تونس في ربيع الأول 1356هـ/جوان 1937م، للمشاركة في حفلة ذِكرى الشَّيخ الأديب المؤرِّخ البشير صفر (رحمه الله تعالى).

وقد حظيَ الإمامُ في هذه المناسبة باستقبال كبير يليقُ بمقامِه [2]، وأسهمَ فيها بمشاركة قويَّة، فكان مِن جملة نشاطاتِه التي خلَّدت في جَبين تاريخ هذه الزِّيارة محاضرته التي صرَّحَ فيها بِقوله: «**لا بدَّ لنا مِن الجمع بين السِّياسة والعلم، ولا ينهضُ العلمُ والدِّينُ حقَّ النُّهوضِ إلَّا إذا نهضَت السِّياسةُ بحقٍّ**» [3].

وتوِّجت هذه الزِّيارة أيضا بهذا الحِوار الذي نسعَد بتقديمه للقرَّاء، والذي تناول فيه الإمام مِن خلال جوابه على الأَسئلة التي وجِّهت إليه مجموعةً مِن القضايا التي كانت تشغلُ بالَ الأُمة الجزائريَّة في ذلك العهد، على المستوى الثَّقافي والسِّياسي خاصَّة، منها قضيَّة الصِّراع بين جمعية العلماء وجماعة الطُّرق الصُّوفية، وفي هذا الشَّأن أبدى الإمام رأيًا واضحًا لا لَبسَ فيه، وهو أَنَّ (الجمعية) مُستعِدَّة لِلاتِّحاد والتَّعاون مع أصحابِ الطُّرق شريطةَ أَن لا يكونوا رِماحًا لِلاستعمار موجَّهة في نحور روَّاد الأُمَّة ورجالاتها، وأَن لا يستَعمِلَهم المستدمِرُ الفرنسي دُروعًا لحماية أَغراضِه ووأطماعِه ومخطَّطاتِه.

ومن أهمِّ المحاوِر التي تعرَّض لها الإمامُ في هذا الحِوار مسألة طبيعة العلاقة التي كانت تجمعُ بين (جمعية العلماء) وبين كلٍّ مِن حزبِ نجم الشَّمال الإفريقي، وجماعة المؤتمر الإسلامي، فذكر أَنَّ موقفَ (الجمعية) نحو (النَّجم) هو موقِف الحِياد والاحترام المتبادل، وعدَم الإعتراض على المطالب المقدَّمة مِن طرفِ أعضائِه، وكان أعظم مطلب ينشدُه الحزبُ آنذاك هو الاستقلال الذَّاتي، غير أَنَّ «الأساليب تختلِف» ـ كما ذكر ـ لتحقيق هذا الحقّ الطبيعي الذي لا يُساوِم فيه إلَّا مخذول العَزم مَطموس البصيرة.

وفي سؤَال حَول مَوقفِه نحو النواب الماليِّين والعماليِّين، ذكر أنهم في رأي (الجمعية) على ثلاثة أقسام: صديق، ومُسالم، وعدوٍّ.

وتطرَّق الإمامُ أيضا مِن خِلال أجوِبته عَن أسئِلة المحاوِر للحَديث عَن جَوانب متعلِّقة بِبعض اهتمامات الطَّلبة التونسيِّين في ذلك العصر، مثل قضية تعطيل التَّجنيد الإجباري الذي كان يُطالِب به الطلبة بالجامع الزَّينوني.

ونَجِد على هامِش القضايا التي طَرحها المحاوِر على الإمام مسأَلةً متعلِّقة بذوق الإمام الشِّعري ومحاولة معرفة رأيِه فيمن يستحقُّ إمارة الشِّعر في قُطر الجزائر، فكان جوابه وَفق ما سيقفُ عليه القارئ في نصِّ الحِوار الذي هو بين يديه مرقومًا على صفحات هذه المجلَّة منشورا للمرَّة الثَّانية بعد ما نشِر لأَول مرَّة في صحيفة (السَّردوك) منذ حَوالي 80 سنة:



(1) هذه الوثيقة هي واحدة من عشرات النُّصوص التي لم تُسعِفنا الأَيام لإِدراجها ضمن كتاب: **(آثار الإمام ابن باديس)**، للأستاذ الدكتور عمار طالبي في طبعته الأَخيرة (طبعة عالم المعرفة (2015م) التي تضمُّ 6 مجلَّدات، والتي تشرَّفنا بمساعدة الدكتور في إنجاز المجلَّدين الخامس والسَّادس منها.
(2) عن هذه الزيارة، انظر: **الشهاب**، المجلَّد الخامس، الجزء: 13، جمادى الأولى 1356هـ/جويلية 1937م.
(3) انظر: **البصائر**، العدد: 71، السنة الثانية مِن السلسلة الأولى الصادر في: 9 ربيع الثاني 1356هـ/18 جوان 1937م، ص: 4.

رئيس جمعية العلماء يتحدَّث إلى (السَّردوك) (4)







على إثر المحاضَرة القيِّمة التي ألقاها ضيفُ تونس وزَعيمُ المصلِحين بالجزائر حَضرة الشَّيخ عبد الحميد بن باديس في قصر الجمعيَّات الفرنسيَّة تحتَ إشراف جمعيَّة الطَّلبة الزَّيتونيِّين الجزائريِّين والجمعيَّة الوِدادية الجزائريَّة، قابَلنا الشَّيخَ لتهنِئته وشكره على ما أجاد وأفاد، ورجَوناه أن يتفضَّلَ على قُرَّاء (السَّردوك) بحديثٍ عن نِقاط في الحياة الجزائريَّة، فأجابَ بالقبول وبكلِّ لُطف، وعيَّن لنا صباحَ الغدِ مَوعِدا لذلك بالنَّزل الذي يُقيم فيه.

في حُدود السَّاعة الثَّامنة والنِّصف صَباحًا كنتُ أطرُق بابَ غُرفة الشَّيخ ابن باديس في (نَزل ناسيونال)، فَلاقاني بِبشاشتِه ونُبل أخلاقِه مُرحِّبًا. وكنتُ أظنُّه ما يزالُ نائِما بالنَّظرِ لِما يشكوه مِن النَّصبِ منذ حلُوله بتُونس للمُشاركة في حفلةِ ذِكرى المبرور البشير صفر، ولكنِّي وجَدتُه يحرِّر ويعملُ في انتِظاري.

بادَرني الشَّيخُ بِقَوله: إنَّه مِن المواظِبين على قِراءة صحيفة (السَّردوك)، ومِن المعجَبين بِخُطَّتها وأُسلوبها الحي، لأنه يؤمِن بالشَّباب وحَركاتِ الشَّباب، ويَرى فيها محطَّ آمال الشَّمال الإفريقي للنُّهوض والإزدِهار.

ثمَّ قال: «تفضَّلوا بالسُّؤَال عمَّا تشاؤُون إطلاع قُرَّائكم عليه».

ما هو موقف جمعية العلماء بالجزائر نحو الطُّرق والزَّوايا ؟

الشيخ ابن باديس: تأسَّست جمعية العلماء وغرضُها تصحيحُ العقائد، وتهذيب الأخلاق، وتقويم الأعمال، ومعلومٌ أنَّه لا يتمُّ الغرض الأول إلَّا بارتكاز العقائد على المبادئ الإسلامية، ولا يكونُ تهذيب الأخلاق إلَّا بالرُّجوع إلى الأخلاق المحمَّدية، ولا تَستقيمُ الأعمال إلَّا بارتِكازها على الأُصول الشَّرعيَّة.

وقد صادمَت الطُّرقُ والزَّوايا (الجمعيةَ)، لأنَّ هذه المبادئَ لا تتَّفِق مع خُرافاتها البعيدةِ عن جَوهَر الدِّين الحنيف، لكن (الجمعية) صمدَت للمُقاومة، وبثَّت التَّعليمَ والإرشاد، إلى أن تفتَّحت عيونُ الأُمَّة، وأصبحَ الإتِّجاه لِينبوع الدِّين الصَّحيح مِن أبسطِ مَدارك الشَّعب الجزائري، على أنَّ الطُّرقَ والزَّوايا لم تكُن مضرَّتُها مقصورة على (الجمعية) وحدَها، بل هي خطرٌ على الأُمَّة جَمعاء، لأنَّ الطُّرقَ آلةٌ في يَدِ الإدارة تضعُها لِعرقلَة مَطالب ورَغائب ومشاريعَ الأُمَّة.

وفي هذه الظُّروف التي نؤَكِّد فيها اتِّحاد طبقاتِ الأُمَّة بِأجمعِها للعمل لِفائدة القضيَّة العامَّة، يمكِنُ لِـ: (جمعية العلماء) أن تَتَّحِد مع الزَّوايا للعمل لفائدة الأُمَّة، ولكن (الجمعية) لا يُمكِنها بِحال أن تتَّحِد مع الزَّوايا التي تُستَعمَل آلةً ضِدَّ الأُمَّة.

وأكبرُ دليلٍ على رَغبتِنا في الاتِّحاد أنِّي في الإجتماع الذي عقدَه المؤتمر الإسلامي بِـ: مستغانم في الصَّائفة الماضية كان يجلِسُ إلى جانبي أحدُ مَشايخ الطُّرق، وعند انتِهائي مِن الخِطابة، مَدَدتُ يَدي مُصافِحًا الشَّيخَ أَمامَ الجمهور، قائلا: «ها أنا أُصافِحُ هذا الشَّيخ، رغمَ أنِّي مُصلِحٌ وهو طرقيٌّ، كعُنوانٍ على التَّعاون في خِدمة القضيَّة العامَّة، بِدون نظرٍ إلى المشارِب والمبادئ»، لأنِّي رأيتُه يحضُر معَنا هذا الإجتماع الذي عُقِدَ لِخدمة القضيَّة العامَّة».

وما موقف (جمعية العلماء) وجماعة المؤتمر الإسلامي إزاء جمعية نجم الشَّمال الإفريقي ؟ وما رأيكم في القضيَّة التي رفَعتها السُّلطة بِالسيِّدَين: مفدي زكرياء، وحسن الأحول ؟

الشَّيخ ابن باديس: موقف (جمعية العلماء) وجماعة المؤتمر الإسلامي نحو (النَّجم) موقف حِيادٍ واحتِرام، فنحنُ لا نُعارِضها، ونحتَرِم فِكرتَها، وإن كانت الأساليبُ تختلِف بيننا وبين جمعية النَّجم.

أمَّا قضيَّة زكرياء والاَحوَل فقد قال إنَّه سيحتجُّ عليها بِـ: (مجلَّة الشِّهاب)، لأنَّه يرى فيها تَحجيرا ومقاومةً لحرِّية الفِكر.

ما مَوقف النواب الماليِّين والعماليِّين نحو (جمعيَّة العلماء) ؟

الشَّيخ ابن باديس: النوابُ ثلاثة أقسام بالنِّسبة لِـ: (الجمعيَّة): صديق، ومُسالم، وعدوّ، وهذا النَّوعُ أقليَّة ضئيلة.

ما هي أعمال (الجمعية) في باريس ؟

الشَّيخ ابن باديس: تقُوم (الجمعية) في باريس بأعمال باهِرة، منها: تأسيس النَّوادي، وتعليم العمَّال، والدِّعاية لقضيَّة الجزائر.

ما رأيكم في إمارة الشِّعر بالجزائر ؟ ومَن يستحقُّها ؟

الشَّيخ ابن باديس: مسألة الإمارة مَسألة أرستقراطيَّة، وأنا رجلٌ ديموقراطي ! على أنَّ هذا اللَّقب لا يكونُ سببًا في خلُود الشَّاعِر الملقَّب به، إنَّما الذي يخلِّده آثارُه القويَّة، والحجَّةُ على قِلَّة جَدوى الألقاب تتجلَّى في الأكاديميَّة الفرنسيَّة، فأعضاؤُها يُلقَّبون بِـ: الخالدين، ولكن هل كلُّهم يخلَّدون بعدَ مَماتهم !؟ كلاَّ، بل ربَّما ذهَبت أسماؤُهم بِمَوتهم، وخلِّد أُدباء وعلماء مِن غَير أعضاءِ هذا المجمع.

بِمَن تُعجبون مِن شُعراء الجزائر ؟

الشَّيخ ابن باديس: يُعجِبني محمَّد العيد، وهو أول شاعِر في نظري، ثمَّ مفدي زكرياء.

ما رأيكُم في مشكِلة (الجامع الأعظم) ؟

الشَّيخ ابن باديس: إنَّ طلبَ التَّلامِذة لجعل الشَّهادة الأهليَّة تُعفيهم مِن الجنديَّة طلبٌ صَعب التَّنفيذ على فرنسا، لأنَّه يتنافَى مع سياسة غُلاةِ الإستعمار، ويتعارَض مع مصلحة فرنسا العسكريَّة، لأنَّه إذ تتَساوى به اللغة العربيَّة مع اللغة الفرنسيَّة، يقلِّل مِن الجنود، ولا يمكِن النَّجاح فيه على ما أظنُّ إلَّا إذا طلبته الأمَّةُ بِأكملِها، والذي يلُوحُ لي في الأكثَر أنَّ الشَّعبَ التونسي قَد تخلَّى عَن نُصرة الطَّلبة.

ومهما كان، فإنَّ واجِبَ فرنسا أن لا تغفلَ مسألَةَ (الجامع)، لأنها مسألَةٌ حسَّاسة، وإن سكتَ الشَّعبُ اليوم، فلا يسكتُ غدا.

ثمَّ أبدى حضرة الشَّيخ رأيًا في حلِّ المشكِل، هو أن يؤَجَّل حامِل الأهليَّة في الذَّهابِ إلى الجنديَّة حتَّى يحصلَ على التَّطويع، فإن لم يحصل عليه تجنَّد.

وهنا طالَ بنا المقام مع الشَّيخ، فأردنا أن نُفارِقَه حتَّى لا نُضايِقَه، وحتَّى يتمكَّن زوَّارُه الكثيرون الذين ينتظِرونَه مِن مُشاركتِنا في الأُنس بِالشَّيخ، فودَّعناه شاكِرين فضلَه.

(4) جريدة أسبوعية فكاهية مصوَّرة، لصاحبِها الشاذلي الفهري، والحوار نشر في يوم الأربعاء 29 ربيع الأول 1356هـ/09 جوان 1937م، ص: 4، وقد أمدَّنا بهذه النُّسخة المصوَّرة عن الأَصل صديقنا الأستاذ المحقِّق الباحث **لحسن بن علجية** (حفظه الله تعالى).



اللاعنف والإسلام

للعلّامة وحيد الدين خان | رئيس المركز الإسلامي، الهند
صاحب كتاب "الإسلام يتحدى"
ترجمة: غياث جازي



ينبغي عدم الخلط إطلاقًا بين اللاعنف وبين التقاعس عن العمل أو السلبية. فاللاعنف هو فعل بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ بل هو أكثر قوة وفعالية من فعل العنف. والنشاط اللاعنفي ليس محصورًا في مجاله، بل هو مسار عمل يمكن اتباعه على كل الأصعدة.

حينما تواجه مشكلة ما أفرادًا أو جماعات أو مجتمعات، يكون اللجوء إلى العنف هو السبيل الوحيد لحلها. بيد أن السبيل الأفضل هو محاولة حلِّ هذه المشكلة بالوسائل السلمية، وتجنب العنف والمجابهة. وقد تتخذ الوسائل السلمية أشكالاً شتى حسب طبيعة المشكلة التي تحدد أيًّا من هذه الوسائل قابلة للتطبيق على الحالة المعطاة.

الإسلام دين يعلِّم اللاعنف. فقد ورد في القرآن أن الله لا يحب الفساد fasad، العنف. وتعبِّر الآية 205 من السورة الثانية في القرآن بوضوح عن ما المقصود هنا بالفساد. فالفساد، أساسًا، هو ذلك الفعل الذي يفضي إلى اختلال النظام الاجتماعي، مُوقِعًا خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات.

وعلى النقيض من ذلك، يمكن القول بيقين إن الله يحب اللاعنف. وهو يمقت النشاط العنفي لأنه يفلت عنان الأمور في المجتمع الإنساني، مما يجبر الناس على دفع الثمن من حيواتهم وممتلكاتهم. وهذا ما هو مدعَّم ببيانات أخرى في القرآن. فعلى سبيل المثال، يخبرنا القرآن أن السلام هو أحد أسماء الله (23:59). أما أولئك الذين ينشدون رضاء الله فتطمئنهم الآية 5 من السورة 16 بأن الله سيهديهم إلى ﴿سبل السلام﴾. وفي القرآن، يُشار إلى الفردوس، الذي هو الوجهة النهائية لأخيار الله، بـ ﴿دار السلام﴾(30:89).

تتسق روح القرآن بأكملها مع هذا المفهوم. مثلاً، يعلِّق القرآن أهمية كبيرة على الصبر. وفي الحقيقة، يعلو الصبر على كل الفضائل الإسلامية: ﴿إنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾(10:39).

ينطوي الصبر بداهة على استجابة أو رد فعل سلمي، في حين يتضمن نفاذ الصبر استجابة عنفية. فكلمة صبر sabr تعبِّر بالضبط عن فكرة اللاعنف كما هي مفهومة في الأزمنة الحديثة. وفعل الصبر هو فعل لاعنفي مُعبَّر عنه في القرآن على نحو واضح. وقد ورد على لسان نبي الإسلام ما معناه أن الله يعطي على الرفق rifq (اللطف) ما لا يعطي على العنف unf (سنن أبو داوود، 4/255).

لقد استخدمت كلمة رفق في هذا الحديث كنقيض لكلمة عنف. وتُوصِل هذه المصطلحات بدقة ما المقصود بالعنف واللاعنف في الأزمنة الحاضرة. فهذا الحديث يشير بوضوح إلى أعلويّة النهج اللاعنفي.

إن منح الله اللاعنف امتيازًا لا يمنحه للعنف ليست مسألة بسيطة؛ فلها مضامين عميقة وواسعة للغاية. إنها تجسد قانون الطبيعة الأبدي. وبموجب قانون الطبيعة ذاته، تقترن كل الأمور الطالحة بالعنف، بينما ترتبط كل الأمور الصالحة باللاعنف.

تُولِّد الأنشطة العنيفة الكراهية في المجتمع، بينما تستحثُّ الأنشطة اللاعنفية المحبة. العنف هو سبيل دمار، في حين أن اللاعنف هو سبيل بناء. ففي جو العنف تتنامى العدواة، وفي جو اللاعنف تزدهر المودَّة. فالنهج العنفي يفسح المجال للقيم السلبية، أما النهج اللاعنفي فيتسم بالقيم الإيجابية. النهج العنفي يورِّط الناس في المشاكل، لكن النهج اللاعنفي يقود الناس إلى استثمار الفرص. باختصار، العنف موت، واللاعنف حياة. لقد عقد كلٌّ من القرآن والحديث أهمية على الجهاد jihad. فما هو الجهاد؟ الجهاد يعني الكفاح، الكفاح إلى الحد الأقصى. لكن بداية يجب إدراك أن هذه الكلمة تستخدم من أجل كفاح لاعنفي وفي تعارض مع الكفاح العنفي. وأحد البراهين الجليّة على هذا الأمر هي الآية القرآنية (52:25) التي تقول: جاهد ولو بكلمة (أي، كلمة القرآن).

القرآن ليس سيفًا أو بندقية؛ إنه كتاب عقيدة. وفي هذه الحالة، أداء الجهاد بالقرآن يعني كفاح عقائدي من أجل غزو قلوب وعقول الناس عن طريق فلسفة إسلامية متفوقة.

وعلى ضوء هذه الآية القرآنية، يكون الجهاد في واقع الأمر اسم آخر لنشاط سلمي أو نشاط لاعنفي. وفي حين أن القتال qital نشاط عنيف، فإن الجهاد نشاط لاعنفي.



بداية سلمية

عندما بدأ القرآن بالنزول، حملت الآية الأولى منه أمرًا: إقرأ (1:96) Iqra. ولدى التمعُّن في هذه الآية، نتعلم عن كيفية استهلال العمل الإسلامي. فهي تبدأ من نقطة تتضمن أملاً في استمرارية الحركة على أسس سلمية، وليس من نقطة تشوبها احتمالات مُفسَدة بالعنف.

في الحين الذي تجلَّى فيه أمر "إقرأ"، كان هناك العديد من الخيارات المتاحة في مكة كنقاط انطلاق للحركة. فعلى سبيل المثال، كانت إحدى نقاط البدء المحتملة هي الانطلاق في حركة تطهير للكعبة من الـ 360 صنم المنصوبة فيها. لكن، من خلال انتهاج مثل هذا المسار، كان سيتعيَّن بالتأكيد على الحركة الإسلامية مواجهة رد فعل عنيف من قريش. كما كان يمكن أن تكون نقطة بدء بديلة هي محاولة ضمان مقعد في دار الندوة (برلمان مكة). وفي ذلك الوقت، كانت كل بلاد العرب تقريبًا تحت النفوذ المباشر أو غير المباشر للإمبراطوريتين الرومانية والساسانية. ولو جُعِل تحرير بلاد العرب من هذا النفوذ نقطة البدء لكان قُوبل أيضًا برد فعل مباشر من جانب قريش.

وإذا وضعنا جانبًا هذه الخيارات، فإن المسار المتبع كان قراءة القرآن، وهو نشاط يمكن أن يستمر بالتأكيد على أسس سلمية: فما من رد فعل عنفي سيترتب على الانهماك في مثل هذا النشاط. لقد اتبع نبي الإسلام هذا المبدأ طيلة حياته. فكانت سياسته تعتمد على الطرق اللاعنفية تفضيلاً لها على الطرق العنفية. إنها السياسة التي أشارت إليها عائشة، زوجة النبي، بهذه الكلمات: "كلما كان يتوجب على النبي اختيار أحد طريقين، كان يختار دومًا الطريق الأسهل" (فتح الباري 6/654).

ما هي مزايا النشاط اللاعنفي مقارنة بالنشاط العنفي؟

لنذكرها باختصار:

1. وفقًا للقرآن، هناك شكلان من الاستعداد الفطري في كلِّ كائن بشري متنافران على نحو متبادل؛ أحدهما هو الأنا، والآخر هو الضمير، سُمِّيا على التوالي: النفس الأمّارة والنفس اللوّامة (القرآن، 53:12؛ 26:75). وما يقوم به النهج العنفي على نحو ثابت هو إيقاظ الأنا التي تؤدي بالضرورة إلى انهيار التوازن الاجتماعي. ومن جهة أخرى، يوقظ النشاط اللاعنفي الضمير، ومن هذا تنتج صحوة الناس للاستبطان والتقدير الذاتي. وحسب القرآن، تكون النتيجة الإعجازية لهذا الأمر هو أن ﴿الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾. (34:41)

2. للنهج اللاعنفي ميزة عظيمة، لن يهدر المرء الكثير من وقته بالسير على منوالها. وعندها قد يتم استغلال الفرص المتاحة في أي موقف مُعطى على أكمل وجه - كما حدث بعد صلح الحديبية. فمعاهدة السلام هذه مكَّنت المؤمنين من استخدام طاقاتهم في نشاطات سلمية بنَّاءة عوضًا عن تبديدها في مواجهات مسلحة عقيمة. فإحدى حالات الضرر المؤذية للغاية جرَّاء نشاط عنفي هي كسر النواميس الاجتماعية بإطلاق تحركات عسكرية. وعلى العكس من ذلك، المنفعة العظيمة الناجمة عن النشاط اللاعنفي هي الشروع بعمل لا ضرر فيه للتقاليد وإطالة أمده.

وعمومًا، إن المحاولات الرامية إلى تحسين أو استبدال الأنظمة القائمة عن طريق النشاط العنفي تأتي بنتائج عكسية. فغالبًا ما يكون انقلاب واحد مؤشرًا إلى سلسلة من الانقلابات والانقلابات المضادة، بدون أية فائدة تُذكر لصالح عامة الشعب. فالثورة المرغوبة حقًا هي تلك التي تتيح الفرصة للتغييرات التدريجية والنافعة. ولا يمكن تحقيق هذا العمل إلا على أسس لاعنفية.

النجاح من خلال النهج اللاعنفي

لقد تم إنجاز كل النجاحات العظيمة في الطور الأول من الإسلام، فضلاً عن الفترات اللاحقة، بوسائل لاعنفية. وها هي بعض الأمثلة عن هذه النجاحات:

1. طوال فترة 23 سنة من النبوة، وقد أمضى النبي الـ 13 سنة الأولى منها في مكة، تبنى خلالها النبي الطريق السلمي أو اللاعنف تمامًا. ففي ذلك الوقت، كانت في مكة الكثير من القضايا التي يمكن أن تكون موضوع صدام ومجابهة. لكن نبي الإسلام، وبمثابرة، تفادى كل هذه القضايا، وحدَّد مجاله بصرامة في النشر السلمي لكلام الله، وقد أسفر هذا عن تحقيق أداء الدعوة بزخم كبير طوال تلك الفترة. وكانت إحدى المكاسب العظيمة خلال الـ 13 سنة من الدعوة انضواء رجال من ذوي الوزن المعنوي الرفيع تحت راية الإسلام، كانوا مسؤولين عن تشكيل تاريخ الإسلام، ومنهم على سبيل المثال: أبو بكر، عمر، عثمان، علي، إلخ.

2. عندما كان زعماء قريش في مكة يتهيأون لشنِّ حرب ضد النبي، اختار النبي الهجرة إلى المدينة سرًا بدلاً من اللجوء إلى سبيل مقابلة الأذى بالمثل.

كانت الهجرة، بحد ذاتها، مثل ساطع على النشاط اللاعنفي. فهذه الاستراتيجية السلمية مكَّنت النبي وأصحابه، الذين كان يناهز عددهم المائتين، من تشكيل مركز قوة للإسلام في المدينة. فلو أن النبي تبنى سبيل المواجهة بدلاً عن الهجرة السلمية، ربما دُفن تاريخ الإسلام هناك في مكة بعد فترة وجيزة من بدئه.

3. بعد الهجرة، اتخذ خصوم النبي قرارًا بشن الحرب عليه. وبالتالي جرت مواجهات دامية مثل موقعتي بدر وأُحد. ثم عقد النبي معاهدة سلام مع أعدائه لمدة عشر سنوات عُرِفت في التاريخ بصلح الحديبية، موافقًا على جميع شروطهم. وقد دُعي هذا في القرآن "نصرًا مُبينًا". إنها ذات المعاهدة التي مهدت الطريق في نهاية المطاف لنشاطات بناءة سلمية جعلت من الممكن فتح مكة وكل بلاد العرب فيما بعد.

4. مع نهاية الخلافة الراشدية، وقعت مواجهة دموية بين بني هاشم وبني أمية. وهذا ما أعاق تقدم الإسلام لفترة 10 سنوات. لكن ما أدار عجلة التقدم مجددًا هو الانسحاب الطوعي للحسن بن علي (توفي سنة 50 بعد الهجرة) من ميدان المعركة. وكان هذا نموذج عملي من النشاط اللاعنفي لا يمكن إنكاره. فهذا التحرك السلمي من جانب الحسن بن علي أعاد فتح أبواب التقدم التي كانت مغلقة بوجه الإسلام.

5. في الطور الأخير للخلافة العباسية، هاجمت القبائل المنغولية بلاد الإسلام، مدمِّرة البلاد بأسرها، على طول الطريق من سمرقند إلى حلب. وبدا حينها أن تاريخ الإسلام قد وصل إلى طريق مسدود. وفي تلك اللحظة، وُلِدت روح الدعوة في داخل المسلمين. ونتيجة لذلك، تحوَّلت غالبية المنغوليين إلى دين الإسلام. وحدثت تلك المعجزة التي وصفها أحد المستشرقين بهذه الكلمات: "لقد غزا دين المسلمين حيث فشلت أسلحتهم".

6. اتخذ التاريخ الإسلامي منعطفًا حاسمًا عندما نخر الفساد نظام الحكم في السنوات اللاحقة للخلافة الدينية، وتحولت الخلافة إلى ملكية مطلقة. وفي ذلك المنعطف، برزت عوامل عديدة كان من شأنها أن تؤدي إلى صدام ومواجهة بين الحاكم والمحكومين. لكن، اتباعًا لتوجيهات النبي، تجنب المسلمون كليًا المواجهة السياسية في هذا التاريخ الذي بدأ مع الخلافة الأموية، واستمر لقرون عدة. وقد كان تجنب الصدام أو المواجهة مع الحكام ممكنًا بفضل التابعين (رفاق صحابة النبي) وما تلاهم من أجيال مؤلفة من تقليديين وفقهاء وعلماء ومتصوِّفة وعلماء دين عظماء آخرين.

خلال تلك الفترة التي بدأت فيها الدعوة السلمية بالانتشار في مختلف البلدان وكذلك علوم الحديث، ظهر إلى حيز الوجود الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى على نطاق واسع بعد فترة طويلة من الكفاح العقائدي العظيم. وكل الكتب النفيسة التي تزيِّن مكتباتنا والمؤلفات الكلاسيكية الإسلامية هي نتاج هذه الأنشطة السلمية.

فعلى سبيل المثال، يُعتبر الحديث هو المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن. وهذه الأحاديث موجودة الآن على شكل كتب مطبوعة، وهي ثمينة إلى حد أنه، بدونها، لم يكن من الممكن تطوير الإسلام إلى نظام متكامل كما هو موجود اليوم. فخلال الفترتين الأموية والعباسية، عندما كان النظام السياسي قد بدأ بالانحلال، كانت هناك عشرات الآلاف من هذه الأحاديث المُخزَّنة في ذاكرة علماء الدين المذكورة أسمائهم في الكتب كحلقات وصل مع المراجع التي أوصلت لنا هذا الموروث.



فلو أنهم تبنوا مبدأ النشاط العنفي واصطدموا مع الحكام "الظالمين"، لكانوا ذُبحوا جميعًا ودُفِن معهم في القبور كامل موروث الأحاديث بدلاً من إيجاد مكان له على صفحات الكتب. فبمعجزة كان تبني اللاعنف بديلاً عن العنف حبل نجاة لمصادر تراثنا الثمينة وتسطيرها في كتب لا تزال تزيِّن مكتباتنا حتى اليوم.

لامشروعية الثورة السياسية

على الرغم من الضلال الصارخ في مسار الحكام المسلمين بعد الخلافة الدينية، لم يَقُدْ العلماء المسلمون تمردًا ضد هؤلاء الأفراد الفاسدين. ولفترة تقارب الألف سنة عزلوا أنفسهم عن هذه القضية وواصلوا بذل كل جهودهم في الميادين غير المادية. ولم تكن هذه مسألة عرضية، بل إذعانًا لتعاليم الشريعة.

وكما نعلم، دُوِّنت في كتب الحديث المُفصِّلة فصول بعنوان **"كتاب الفتن"**. وقد أورد نبي الإسلام بكلمات واضحة أن الانحرافات في الأزمنة اللاحقة ستتمكَّن من الحكام فيضحون مستبدِّين وظالمين، لكن ذلك لا يجب أن يدفع المسلمين إلى أن يشهروا سيوفهم بوجوههم؛ فعلى المسلمين، بدلاً من ذلك، الانتقال إلى الجبال مع ماعزهم وجمالهم.

والمقصود بـ"الماعز والجمال" هي الفرص المتاحة في الميادين غير السياسية المتواجدة حتى عندما تكون المؤسسات السياسية مُفسَدة. هذا التعليم الذي أوصى به النبي عنى بأن على المسلمين الإفادة من مثل هذه الفرص عن طريق تجنب الصدام والمواجهة في الميدان السياسي. وباختصار، بتجاهل المشكلة السياسية، عليهم الاستفادة من الفرص غير السياسية.

كانت تعاليم نبي الإسلام هذه جليَّة بحيث أجمع علماء المسلمين في أوقات لاحقة على أن التمرد على الحكام غير شرعي. وفي تعليقه على بعض الأحاديث النبوية كما وردت في صحيح مسلم كتاب الإمارة، يقول الإمام النووي:

> يجب ألا تدخل في صراع مع الحكام في أمور قوتهم. فحتى وإن كنت تجدهم ماضون ضد التعاليم الإسلامية الصريحة، عليك محاولة تبيان الحقيقة لهم فقط من خلال قول الحكمة والمشورة. فالتمرد والحرب ضدهم من أجل عزلهم غير شرعي كليًا بإجماع العلماء، حتى عندما يكون الحكام ظالمين Zalim وفاسقين Fasiq (طغاة وأشرار). (صحيح مسلم، بشارة النووي، 12/229).

كان أمر النبي هذا، كما هو مُعبَّر عنه بوضوح أعلاه، مستند إلى اعتبارات بالغة الأهمية. ففي واقع الحال، كان لزامًا في الطور المبكر من الإسلام (كما في مرحلة لاحقة) إنجاز الدعوة وأعمال الإصلاح والتي بدونهما لن يكتمل تاريخ الإسلام. فلو حاول علماء المسلمين أن يشكلوا تهديدًا للمؤسسات السياسية، لما أمكن بالتأكيد إنجاز كل هذا العمل البناء. ولهذا السبب، حرَّم نبي الإسلام صراحة أي صدام مع المؤسسات السياسية. وقد ضمن تجنب الصراع هذا استمرار العمل البناء غير السياسي بدون أي انقطاع.

> يجب بذل كل الجهود لتفادي الحرب، وفقط إن أصبح ذلك مستحيلاً، لا بد من اللجوء إلى القتال دفاعًا عن النفس

في كل مجتمع، ثمة نظامان متعايشان جنبًا إلى جنب، أحدهما سياسي والآخر غير سياسي. والثاني مؤسَّس عبر مؤسسات غير سياسية مختلفة. ووفقًا للنظام الإسلامي، تبقى المؤسسات غير السياسية المنشأة على المستوى الاجتماعي مستقرة دومًا. وبهذه الطريقة، هناك مسعى حثيث – حتى عندما تكون المؤسسات السياسية قد أصبحت فاسدة – للحفاظ بثبات على إسلام مؤسس على مستوى من النظام غير السياسي.

أمر الحرب في الإسلام

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن بعض الآيات في القرآن تحضُّ على القتال وتأمر به (39:22). فما هي الظروف الخاصة التي تبرر صدور مثل هذا الأمر والامتثال له والتي نتعلمها من دراستنا للقرآن:

1. النقطة الأولى التي تجدر الإشارة إليها هي أن العدوان أو بدء الهجوم من قبل المسلمين ليست حالة محرَّمة بالكامل؛ فهي جائزة، لكن بشروط معينة. لقد صدر إلينا الأمر في القرآن بوضوح: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾. (190:2)

2. الحرب الدفاعية فقط هي المسموحة في الإسلام. فمثل هذه الحرب هي عدوان يرتكبه طرف آخر مما يوجب على المؤمنين الدفاع عن أنفسهم. وليس مسموحًا للمسلمين بدء العداء. ويرد في القرآن: "وكانوا البادئين في مهاجمتكم". (13:9)

يُضاف إلى ذلك، حتى في حالة هجوم تشنها جماعة معادية، لا يُفترَض بالمؤمنين الرد على الفور. ففي البداية، يجب بذل كل الجهود لتفادي الحرب، وفقط إن أصبح ذلك مستحيلاً، لا بد من اللجوء إلى القتال دفاعًا عن النفس.

3. وفقًا للقرآن، كان ثمة شكل وحيد للحرب محددة زمنيًا بدقة فيما يتعلق بغرضها. وهذا ما يضع حدًا للفتنة: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾. (193:2) وفي هذه الآية تدل الفتنة على نظام قسري وصل إلى أقصى أشكال الاضطهاد الديني. وقد ساد هذا النظام القسري في الأزمنة القديمة في جميع أنحاء العالم، وأغلق جميع منافذ التقدم، الروحية والمادية. وفي ذلك الوقت، أمر الله المؤمنين بتحطيم هذا النظام القسري من أجل ولوج عالم الحرية، وبالتالي تُشرع كل أبواب التقدم الروحي والمادي أمام الإنسان.

وقد بُوشر بهذه المهمة، خلال حياة النبي، وأدَّت إلى خاتمة ناجحة على الصعيد الداخلي ضمن بلاد العرب. ولاحقًا، إبان الخلافة الدينية، تم تفكيك الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية بعون إلهي. وبالتالي، استعيض عن القمع الفكري بحرية فكرية.

وفي هذا الصدد، الأحاديث التي تستحق الملاحظة هي الواردة في صحيح البخاري. فبعد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، عندما نشب نزاع سياسي بين عبد الله بن الزبير والأمويين، نأى عبد الله بن عمر، الأعلى منزلة من بين صحابة النبي، بنفسه بعيدًا عن المعركة. وحين فاتحه الناس، مستشهدين بآية قتال الفتنة، متسائلين عن السبب الذي يدعوه إلى عدم المشاركة في القتال، أجاب عبد الله بن عمر بأن "الفتنة" كما وردت في القرآن لم تُشِر إلى خلافات سياسية داخلية، وإنما إلى النظام القسري الديني الذي سبق أن وُضِع حد له من قبلهم. (فتح الباري، 8/60)





نتعلم من هذا أن الحرب ضد الفتنة كانت حربًا محدودة المدة، وكان القصد منها خوضها إلى يتحقق غرضها المحدد فقط.

من غير المناسب استحضار العظات القرآنية بشأن القتال ضد الفتنة بغية شرعنة أعمال حربية لها أهداف أخرى. ويمكن الاستشهاد بهذه الآية فقط إذا تواجد الوضع نفسه كما في زمن نزولها. لقد أحصى كاتبو سيرة نبي الإسلام أكثر من 80 غزوة (معركة) في عهده. مما خلق انطباعًا بأن نبي الإسلام، في الـ 23 سنة من مسيرته النبوية، شنّ ما يقارب 4 معارك في السنة الواحدة. لكن لا أساس لهذا من الصحة. ففي الواقع لم يشارك نبي الإسلام في كامل حياته النبوية إلا في 3 معارك فقط. وكل الحوادث الأخرى الموصوفة كغزوات كانت في حقيقة الأمر أمثلة على تجنب الحرب وليست حالات ضلوع فيها.

ففي كتب السيرة، على سبيل المثال، تُدعى موقعة الأحزاب غزوة (معركة)، في حين أن الحقيقة هي أن قبائل عربية مسلحة بلغ تعدادها 12 ألف محارب بلغت تخوم المدينة بقصد شنِّ حرب عليها، لكن النبي وأتباعه حفروا خندقًا عميقًا فصل بينهم وبين المهاجمين، فحالوا بنجاح دون وقوع معركة. وجرى الأمر نفسه في كل الحالات الأخرى التي دُعيت غزوات. وقد حاول خصوم النبي مرارًا توريطه في حرب، لكنه في كل هذه المناسبات كان يتمكّن من اللجوء إلى مثل هذه الاستراتيجية لتفادي الحرب، وبالتالي نزع فتيل وضع متفجِّر.

ثمة أمثلة ثلاثة فقط على دخول المسلمين حقًا ساحة المعركة – بدر ، أُحُد، وحنين. لكن الأحداث تنبئنا بأنه في كل هذه المناسبات كانت الحرب قد أصبحت حتمية، بحيث كان النبي مضطرًا إلى مجابهة العدوان دفاعًا عن النفس. وعلاوة على ذلك، دامت كل من هذه المعارك مدة نصف يوم فقط؛ تبدأ كل منها ظهرًا وتنتهي مع غروب الشمس، وبالتالي يكون من المناسب القول إن النبي قد شارك طوال حياته في الحرب بما مجموعه يوم ونصف اليوم. وهذا يعني أن النبي قد راعى مبدأ عدم اللجوء إلى العنف طوال 23 سنة من سيرته النبوية، باستثناء يوم ونصف.

ولكون المنهج الإسلامي يستند كليًا إلى مبدأ اللاعنف، فمن غير المشروع بالنسبة للمؤمنين البدء بالأعمال العدائية، ما عدا الحالات التي يصبح فيها الدفاع عن النفس لا مفر منه. ولا يجيز القرآن في أي ظرف اللجوء إلى العنف.

العصر الحديث واللاعنف

إن المشكلة الكبرى التي تواجه الإسلام اليوم هي، كما أرى، أن المسلمين قد نسوا كليًا تقريبًا السنّة النبوية اللاعنفية. ففي الأوقات المتأخرة، عندما تحلّلت الإمبراطوريتين العثمانية والمغولية، وتوجَّب على المؤمنين مواجهة مشاكل مثل تلك التي تُحدِق بفلسطين، وقع المسلمون في العالم أجمع فريسة رد فعل سلبي على نطاق هائل؛ لقد أخفقوا في تذكر أن سياسة الإسلام ليست العنف بل اللاعنف. ونتيجة لهذا الانحراف في الرؤية لم يحقق المسلمون طوال 100 سنة تقريبًا من الحروب الدامية أي مكسب إيجابي، فما بالك بما قد خسروه من جراء ذلك.

ووفقًا للإمام مالك، سوَّت الأجيال اللاحقة لهذه الأمة (الإسلامية) قضايا موضع نزاع بالطريقة نفسها التي عَمِلت بها الأجيال السابقة؛ أي بالطرق اللاعنفية. وعلى نحو مشابه، يجب أن يلجأ مسلمو العصر الحديث إلى الطرق اللاعنفية فقط. فلا مكاسب تحققت عن طريق العنف سابقًا، ولا مكاسب يمكن أن تتحقق عن طريق العنف اليوم.

تشابه أحوال المسلمين في الأزمنة الحديثة تلك التي سادت في زمن صلح الحديبية. واليوم مرة أخرى – وعلى نطاق واسع جدًا – يبرز تحيُّز الحميَّة الجاهلية التي كانت سائدة في بلاد العرب ما قبل الإسلام (28:48) لدى الطرف الآخر. وكان الحل في الطور الأول من الإسلام هو تجنب المسلمين بمثابرة إبراز إجحاف مُعادل، وأصبح من حقهم غوث الله في تشبثهم بكلمة التقوى، ووُهِبوا نصرًا مبينًا (48:26).

في زمن معاهدة سلم الحديبية، كانت قريش، التي قد ضمنت زعامة بلاد العرب، عازمة على شن الحرب، وكانت الكعبة في حوزتهم. وكانوا قد طردوا النبي وأتباعه من مدينتهم، واستولوا على بيوتهم وملكياتهم الأخرى، ولم يدَّخروا جهدًا في بثّ الدعاية المناهضة للإسلام.

ونظرًا إلى هذا الوضع، لم يكن هناك سوى خيارين أمام المؤمنين. يتلخَّص الخيار الأول في محاولة وضع حد للاستبداد وشن حرب سافرة على الطرف الآخر في سبيل ضمان حقوقهم؛ وكانت ستؤدي عاقبة مثل هذا التحرك بالتأكيد إلى المزيد من الخسائر في الأرواح والممتلكات. أما الخيار الثاني فكان التحلِّي بالصبر بمواجهة الخسائر المباشرة، سياسيًا أم ماديًا، والاستفادة من الفرص المتاحة بالفعل مهما كانت هذه الخسائر. وقد اختار النبي وأتباعه المسار الثاني. وكانت النتيجة أنه في غضون بضعة أعوام فقط تم تغيير تاريخ بلاد العرب بأسره نحو الأفضل عبر ثورة إسلامية.

الحالة نفسها واسعة الانتشار في العصر الحالي. فعلى الرغم من أن مسلمي اليوم قد تكبدوا خسائر عظيمة، سياسيًا وماديًا، على أيدي الأمم الأخرى، مازال هناك الكثير جدًا من الفرص الكبيرة من أجل الإصلاح الذاتي ومن أجل العمل للدعوة على نطاق واسع جدًا. وإذا تمت الاستفادة من ذلك بحكمة، فبوسعنا إعادة كتابة تاريخ الإسلام في شروط رائعة.

إعلان الدين

لقد نصَّ القرآن على أن الهدف من الثورة التي أحدثها النبي وأصحابه في القرن السابع عشر هو إظهار الدين (Izhar) .Izhar-e-deen تعني في اللغة العربية هيمنة / صعود. و-Izhar-e deen تدل هنا على الهيمنة الفكرية والعقائدية، وليست الهيمنة السياسية. وهذا يعني أن دين الله يفترض، من النواحي الفكرية والعقائدية، السيادة على كل العقائد والأديان الأخرى).

لم يكن إظهار الدين حدثًا عابرًا لفترة زمنية قصيرة، بل توكيد دائم للهيمنة الأبدية للإسلام. وكانت تداعياته أنه في عالم العقيدة ستحدث مثل هذه الثورة كما ستؤسس لتفوق الإسلام إلى الأبد. وكان غرضه نزع كل حُجُب الخرافة التي خيَّمت بظلالها على المحاكمة العقلية الإنسانية، والكشف عن البراهين العلمية المخبوءة في الطبيعة، بحيث يمكن تسليط الضوء على حقيقة التوحيد للإنسانية جمعاء. وكما ورد في القرآن: ﴿يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾. (33،32:9)

كان منح السيادة العقائدية لدين الله مسألة بالغة التعقيد، وصولاً إلى كتابة التاريخ من جديد. وبالرغم من أن حقيقة الله الحصينة كانت موجودة دومًا، إلا أنها قد أضحت مُغمَّاة بالأفكار الضالَّة والمُضلِّلة، لأن عوالم التفكير والفنون والتعليم عمومًا أصبحت مغلولة بقيود الخرافة والوثنية. وهذا ما أفضى إلى سُتُرٍ أُلقيت على الدين الحقيقي الذي كان الوسيلة المناسبة الوحيدة لحقيقة الله. وقد كانت الأنظمة الملكية التعسفية، التي سادت في جميع أنحاء العالم في ذلك الوقت، مسؤولة عن إدامة هذا الوضع، لأن أية حرية فكرية، وخصوصًا الحرية الدينية، كانت ستشكِّل تحديًا لسلطتها العليا. وفي ظلِّ مثل هذه الأنظمة، لا يمكن أن يكون هناك تنمية إلا على شاكلة هذه التنمية الاجتماعية التي تناسب الحكام الأفراد، ولا يمكن أن يكون هناك أي تطور علمي على الإطلاق.

ولذا، كان لابد لأنظمة الحكم التي تقوم على أساس الاضطهاد الديني من أن تسقط، وأن ينشأ جو مؤاتٍ لتحقيق الدعوة إلى الدين الحق. وقد تم تنفيذ هذا الفعل بنجاح باهر من قبل النبي وأصحابه، وحُشِدت كل الحجج دعمًا لدين الله الصحيح، بحيث جُرِّدت جميع الأديان الأخرى من تأثيرها السابق. وبطبيعة الحال، أدى إلغاء هذه الأنظمة القمعية وتحرير عقول الناس من الخرافة إلى حرية البحث العلمي، وهي العملية التي واصل الإسلام رعايتها على مرِّ القرون دون انقطاع، والتي بلغت أوجها في الإنجازات العلمية المنقطعة النظير في الزمن الحاضر.

وبدوره، وفَّر التقدم التكنولوجي، الذي تم بفضل هذه الثورة العلمية، وسائل أفضل من أجل نشر الإسلام، أي الاتصالات الحديثة. وبالاستفادة من وسائل الإعلام، بات بوسع المنخرطين في عمل الدعوة نشر كلمة الله على نحو أوسع وأسرع بكثير مما ذي قبل.



ووفقًا لأحد الأحاديث، كان لابد من أن يأتي زمن تلج فيه كلمة الله كل البيوت في العالم (مسند أحمد). وقد كانت هذه نبوءة غير مباشرة لبلوغ عصرنا الحديث في الاتصالات.

في العصور القديمة، كانت تتم دراسة الدين باعتباره شأنًا مقدسًا ومسألة عقيدة جامدة (دوغما). ولهذا السبب لم تتمايز أكاديميًا الأديان المؤسَّسة وغير المؤسَّسة عن بعضها البعض. وفي العصور الحديثة، وبفضل تأثير الثورة العلمية، يمكن أن تتم دراسة الأديان بموضوعية وعلى نحو نقدي كأي مسألة أخرى تقع تحت التمحيص العلمي. وقد برهنت مثل هذه الدراسة النقدية، على نحو أكاديمي محض، أن هناك، تاريخيًا، دين وحيد موثوق فقط، ذلك هو الإسلام. فكل الأديان الأخرى تفتقر إلى هذه المصداقية التاريخية. فسابقًا، لم يكن أمام دعاة الإسلام سوى اللجوء إلى الحجج التقليدية دعمًا لإيمانهم، لكن أصبح من الممكن اليوم قياس الحقائق الإسلامية بأعلى معايير المعرفة الإنسانية ولتأسيس أصالتها عن طريق حجج منطقية محضة. وفي الآونة الأخيرة، أيَّدت العلوم نفسها الحقائق المقدسة للإسلام.

لكن، على الرغم من التطورات الحديثة، يُعتَبر زمننا مفعم بالمشاكل بالنسبة للإسلام. فالمسلمون، بافتقارهم إلى الفهم والوعي، ينسون أن العصر الحديث لم يكفَّ مطلقًا عن أن يكون عصر الإسلام. إنهم يخفقون في إدراك أن إمكانات الإسلام بقيت غير منقوصة، وأنه على المؤمنين تحويل هذه الإمكانات إلى واقع مباشر. لذا عليهم أن يأخذوا في الحسبان حقيقة أنه، في أعقاب الثورة العلمية والتي هي نفسها الحصيلة المباشرة للثورة الإسلامية، أصبح من الممكن البدء بحوار جاد ومثمر بين الإسلام وما عداه، وستكون نتيجة ذلك لصالح الإسلام بالضرورة. والآن، والحال على ما عليه، تصبح الحاجة في هذه اللحظة بالنسبة للمسلمين هي وضع حد من جانب واحد لكل النشاطات العنفية ضد الأمم المَدْعوَّة، بحيث يمكن السماح لعلاقة طبيعية ودِّية بالنمو بين الداعي والمدعو.

فرصة عظيمة

1. نظرًا لعدم إمكانية تطبيق حجَّة مباشرة على معتقدات دينية تتعلق بالعالم اللامرئي، لا يمكن دعم هذه المعتقدات سوى بحجة لا مباشرة أو استدلالية. ولذا يتوصَّل المتعلِّمون من الناس إلى الاعتقاد أن الوقائع الدينية تنتمي إلى مجال العقيدة الجامدة فحسب، وأنها لم تكن حقائق أكاديمية أو علمية. لكن بعد انشطار الذرة، طرأ تغير على علم المنطق، وأصبح من المقبول أن الحجة الاستدلالية أيضًا، بطبيعتها، صحيحة وموثوق بها بقدر الحجة المباشرة. وفي وقت لاحق، أصبح من الممكن تأسيس الحقائق الدينية على مستوى أكاديمي، أي بالضبط على نفس مستوى النظريات المادية أو غير الدينية.

2. في الأزمنة القديمة، عندما بدأ الإنسان في ملاحظة العالم، بدا له أنه توجد في الطبيعة أشياء مختلفة تمامًا عن بعضها البعض. وقد أنتجت هذه الملاحظة للمظهر العقلية الوثنية. وبدأ الناس بالتفكير بأنه على ضوء تنوع الأشياء الهائل في الوجود، فلابد لخالقها أيضًا من أن يتخذ بحكم الاضطرار أشكالاً عديدة ومختلفة. لكن الدراسة العلمية أظهرت أن هذا التنوع هو في المظهر فحسب. فعلى خلاف ذلك، كل الأشياء في الطبيعة هي تعبيرات مختلفة للقضية ذاتها. وبنفس الطريقة، أصبح يُنظَر إلى الشِرْك shirk (الوثنية) باعتباره ممارسة لا يمكن تبريرها فكريًا، في حين أحرز التوحيد دعمًا منطقيًا صلبًا.

3. وفقًا لبيان القرآن، تكمن بيّنات الله مخفية في الأرض والسماوات. وقد أبدت دراسة العلم لكل الناس أن الكون هو مخزن هائل للحجج القدسية. ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾. (53:41)

4. بعد الاكتشافات العلمية الحديثة، آل الكثير من مثل هذه الأمور إلى المعرفة الإنسانية، كما جعلت من الممكن إثبات تلك الأحداث التي تعتبر ذات أهمية كبيرة بحجج جديدة. فعلى سبيل المثال، جعل عصر الكربون 14 من الممكن تحديد العمر الدقيق لمومياء رمسيس الثاني، وبالتالي توفر دليل علمي على بيان القرآن بأن جثة فرعون حفظها الله، بحيث يمكن أن تصبح "علامة لجميع الأجيال القادمة". (92:10)

الإسلام في العصر الحاضر

السؤال المطروح الآن هو ما إذا كان الإسلام الذي يعلِّم اللاعنف ذي صلة بالعصر الحاضر، ويفترض موقعًا متفوقًا مرة أخرى في حالات جديدة.

الرد هو بالإيجاب الذي لا يقبل الجدل. فحقيقة أن الإسلام دين سلام تُظهر أنه دين أبدي. فلو كان دين عنف لما كان له أن يكون أبديًا. فبالنسبة للأزمنة الحديثة، نُبِذ طريق العنف كليًا من التفكير المعاصر. والآن، فقط النظام الذي يستحق التقدير والقبول هو الذي يقوم على السلام واللاعنف.

لقد نبذ التفكير الحديث الشيوعية، على سبيل المثال. وكان أحد الأسباب الرئيسية هو أنه كان لزامًا على الشيوعية أن تدوم عن طريق العنف. فمهما كانت الظروف، لا يمكن للعنف أن يكون مقبولاً للعقل الحديث. وعلى خلفية مماثلة، نُبذت النازية والفاشية أيضًا. فإذًا، يستهجن الإنسان الحديث التطرف الديني وغير الديني، لأنه يُؤدّي بالإنسان إلى العنف، شاء أم أبى.

لكن الإسلام دين الطبيعة، وقد كبح العنف باعتباره غير مقبول منذ البداية. فالإسلام داعم للسلام، وليس للعنف، من يومه الأول.

في الماضي، لعب الإسلام دورًا عظيمًا في تطوير الإنسانية، ونتيجة لذلك ولج التاريخ الإنساني عصرًا جديدًا من التقدم والتطور. وقد آن الأوان اليوم لكي يلعب الإسلام دورًا بناء عظيمًا، فيقود التاريخ الإنساني مرة أخرى إلى عصر جديد من التقدم.

ما يُدعى تقدمًا علميًا أو تكنولوجيًا هو محصلة لاكتشاف بعض من الأسرار العظيمة للطبيعة. لكن، إذا كانت الطبيعة وألغازها كائنة دومًا في عالمنا، فلماذا كان مثل هذا التأخر المديد في اكتشافها؟ لماذا لم يستطع التقدم العلمي في السنوات المائة المنصرمة أن ينجز عمل آلاف من السنين الماضية؟ السبب هو أن الاستقصاء العلمي كان جِرْمًا على رجال الدين في الأزمنة القديمة، إلى حدٍّ أضحى فيه الاضطهاد الديني عقبة ملازمة لتقدم العلم. فمنذ الأزمنة القديمة، كان الدين والعلم (المعرفة المقدسة والمعرفة البشرية) مرتبطة مع بعضها البعض. وما فعله الإسلام هو فصل الدين (الذي كان قد أصبح، جوهريًا، مجموعة من المعتقدات اللاعقلانية) عن عمليتي البحث والاستقصاء العلميين. فمثلاً، كان يتم ربط كسوف وخسوف الشمس والقمر مع



> ... فمسلمو اليوم يُستثارون بسهولة، ويغدون عنيفين ضد كل ما يخالف طريقتهم في التفكير، أو حتى لا يلائم هواهم.

القدر الإنساني، لكن نبي الإسلام أعلن أن هاتين الظاهرتين لا علاقة لهما بالبشر؛ بل هما حدثان فلكيان لا يربطهما رابط بمصير الجنس البشري (فتح الباري، 2/611).

إن حدث تلقيح النخيل مدوَّن في كتب الحديث. وقد لاحظ نبي الإسلام أنه في مثل هذه الشؤون الدنيوية، عليكم أن تعملوا تبعًا لخبرتكم، "فأنتم أدرى بهذه الأمور" (صحيح مسلم، شرح النووي، 15/117). وكان هذا يعني فك الارتباط بين الدين والعلم. وبهذه الطريقة، اكتسبت البحوث العلمية فضاءً من الحرية من أجل أداء وظيفتها. فللمرة الأولى في التاريخ الإنساني أمكن للعلم (المعرفة البشرية) من أن يتطور بحرية بدون تدخل من الدين. وبلغ التقدم ذروته تدريجيًا وصولاً إلى العصر الحديث.

لكن، يواجه إنسان اليوم مرة أخرى مشكلة أعظم؛ فعلى الرغم من التقدم الاستثنائي في مجال العلوم والتكنولوجيا، تواجه البشرية مشكلة عدم معرفة حدود الحرية.

يتوق الإنسان المعاصر إلى الحرية بوصفها الخير الأسمى، لكن حالما يبلغ هذا الهدف يكون غير قادر على تعيين حدود معقولة للحرية. ونتيجة لذلك، تنحدر الحرية غير المقيّدة إلى فوضى وخروج على القانون. وهذا هو السبب الفعلي للكثير من المشاكل التي تبرز في المجتمع الغربي في العصر الحديث. فالآن، يتطلَّب الإنسان إيديولوجيا تحدِّد حريته، وترسم فاصلاً بين الحرية المرغوبة والحرية غير المرغوبة؛ والإسلام فقط هو الذي بوسعه توفير مثل هذه الإيديولوجيا. والآن، حان الوقت لتقديم هذه الإيديولوجيا



للإنسان الذي هو على أهبة الاستعداد لقبولها.

بعد انهيار النظام الشيوعي (1991)، كان جزء كبير من العالم، وما يزال، يواجه خواء إيديولوجيًا. وهذا الخواء لا يمكن ملؤه إلا بالإسلام وحده. لقد أصبحت الدول المتطورة في العالم الحاضر قوى عظمى، اقتصادية أو عسكرية، لكن المكان شاغر من قوة عظمى إيديولوجية، وهي تعود إلى الإسلام بشكل كامن. لكن ثمة عقبة وحيدة فقط تقف حائلاً أمام تحويل إمكانية عظيمة إلى حقيقة واقعة تصبُّ في مصلحة الإسلام؛ وهي لجوء الحركات الإسلامية المتكرر إلى العنف في العصر الحديث. فمثل هذا العمل يقدِّم الإسلام أمام أنظار العالم بمظهر دين عنيف. ولهذا السبب، يشيح إنسان اليوم بوجهه عن الإسلام، فيخفق في دراسة الإسلام بموضوعية. فإذا أمكن إزالة هذا الحاجز، وحضر الإسلام مرة أخرى أمام العالم كدين غير عنفي، أو كنظام اجتماعي سلمي، عندها ستتقبَّله الإنسانية مرة أخرى، وتعترف به على أنه صوت طبيعتها الخاصة.

يحتاج الإنسان الحديث إلى دين جديد أو نظام جديد، قائم على السلام، ومتحرِّر من المعتقدات الخرافية، ويوفِّر الأجوبة على الأسئلة النفسية العميقة بخصوص وجودنا المتصدِّع. وينبغي ألا تتعارض مبادئه مع الحقائق العلمية، وأن يكون مدعومًا بتاريخ مظفَّر.

واليوم، ليس هناك من دين، سوى الإسلام، يُرسي مثل هذه المتطلَّبات الإيجابية، لأنه وحده الذي يفي بكل هذه الشروط. فعلى الصعيد الفردي، هناك اليوم الكثير من الرجال والنساء الذين، بعد دراستهم للإسلام، أقرّوا بهذه الخصائص الفريدة للإسلام؛ فقد اعترف بعضهم بها نظريًا، بينما مضى آخرون قُدمًا واعتنقوا الإسلام عمليًا.

نشاط الدعوة

يقوم النشاط الإسلامي على اللاعنف فيما يتعلق بنهجه، بينما يقوم على الدعوة فيما يتعلق بهدفه. والدعوة، في الواقع، هي مُسمًّى آخر للكفاح السلمي من أجل نشر الإسلام. وسيكون من الصائب القول أن النشاط الإسلامي هو في الواقع نشاط الدعوة.

إن مهمة الدعوة ليست بالبسيطة؛ فهي تَنْعم بمنزلة العامل الرئيسي. وإذا تم تنفيذ هذه المهمة بالتمام، ستُنجَز كل الأهداف الأخرى تلقائيًا. وفيما يلي بعض الإشارات من القرآن في هذا الصدد.

1. من خلال الدعوة، يتلقّى المؤمنون حماية إلهية من أذى خصومهم.

2. من خلال الدعوة، يتحوَّل حتى أكثر الأعداء قساوة إلى "وليّ حميم". (34:41)

3. تثبت الدعوة التفوق العقائدي للإسلام. وبلا ريب، لا شيء أعظم من تفوق العقيدة. (32:10)

4. من خلال الدعوة، تنغرس عقلية إيجابية في ذهن الأمة. وهذا ما يُدعى في القرآن honest counsel. (68:7)

5. يؤدي مهمة الدعوة كائنات بشرية، لكن الشروط المُرشِدة لها هي من عند الله. تمامًا كما يزرع الفلاح الأرض، بينما يهطل المطر من عند الله. وفي العصر الحديث، تتوافر الظروف المؤاتية للإنسان بالكامل. وواجب المؤمنين اليوم هو الإحجام عن تبديد طاقاتهم في أنشطة غير مجدية. فعليهم بذل جلّ طاقاتهم في عمل الدعوة، وسوف تترتَّب أفضل النتائج عن هذا الفعل.

6. لقد غادر نبي الإسلام وقرابة مائتين من أصحابه مكة حين جعل الزعماء المكّيون معيشتهم لا تُطاق هناك. بل أنهم حتى قد قرروا قتل النبي. لكن الخطبة الأولى للنبي لدى وصوله المدينة لم تكن تحمل طعم المرارة، ولم تتضمن أية إشارة للانتقام من قريش أو استخدام العنف ضدهم.

لدى الوصول إلى المدينة، أُعطيت الأولوية إلى مهمة إبرام مواثيق سلام مع القبائل ضمن المدينة وما حولها (مع بني خزاعة، على سبيل المثال). ووفقًا لتلك المواثيق، لا يلجأ أي من الطرفين، المسلمون والقبائل، إلى القتال ضد بعضهم البعض. وقد انضمت معظم القبائل العربية إلى اتفاقيات الهدنة هذه. لكن قريش لم تكفّ عن العدوان، بل وقامت ببعض الغزوات العسكرية ضد المسلمين. لكن، أخيرًا ، في السنة السادسة للهجرة، نجح النبي في عقد معاهدة سلام مع قريش في موقع يُسمّى الحديبية، رغم أن قريش هي التي أملت جميع شروط هذه المعاهدة.

مسلمون مُستبعَدون

إنها حقيقة لا تقبل الجدل: لم يكن المسلمون قادرين على الالتحاق بالاتجاه العام للعصر الحديث. ففي كل الأماكن وكل الدوائر، كانوا يديرون شؤون حياتهم كما لو كانوا يحشرونها في زاوية. وهذه، بلا شك، معضلة حرجة للغاية، لأنها تحط من منزلة المسلمين إلى مواقع الدرجة الثانية في العالم أجمع.

ويعود السبب الأعظم لهذه المشكلة، من وجهة نظري، إلى الموقف العنفي للمسلمين. فمسلمو اليوم يُستثارون بسهولة، ويغدون عنيفين ضد كل ما يخالف طريقتهم في التفكير، أو حتى لا يلائم هواهم. وصحيح أنه ليس كل المسلمين يشاركون في أعمال العنف، ومع ذلك يُنظَر إلى جميع المسلمين على أنهم متورطون في هذه الأعمال العنفية. ويرجِع هذا إلى كون قسمًا من المسلمين – وهم الغالبية، في الواقع – من الذين لا يشاركون في أعمال العنف شخصيًا، لا يتبرؤون من أفراد طائفتهم الذين يمارسون العنف، ولا حتى يدينونهم. وفي مثل هذه الحالة، ووفقًا للشريعة الإسلامية ذاتها، إذا كان المسلمون المتورطون يتحمّلون المسؤولية المباشرة، فإن المسلمين غير المتورطين يتحملون المسؤولية بشكل غير مباشر.



إنهم الزعماء المسلمين، الدينيين والعلمانيين، المسؤولون فعليًا عن هذا النهج العنيف من جانب مسلمي اليوم. ففي العصر الحديث، حين يكون على المسلمين مكابدة تجربة هزيمة، يتّبع كل العلماء الدينيون والعلمانيون والمثقفون خطًا واحدًا تقريبًا؛ وهو إيقاظ روح الجهاد (بمعنى القتال) في أوساط المسلمين. ويردّد العالم الإسلامي بأكمله صدى هذه الشعارات، مثل "الجهاد طريقنا"، و"الجهاد هو الحل الوحيد لمشاكلنا".

لقد شهد العالم بأكمله عددًا ضخمًا من التحركات الكبيرة والصغيرة في الرد العنيف على المشاكل التي واجهها المسلمون. فإذا ذهبت إلى فلسطين، سوف تسمع الشباب يغنّون أغنية لا بد أن يكونوا قد تعلموها ممن هم أكبر منهم سنًا: "الحرب، الحرب؛ الحرب هي السبيل إلى النصر".

> فالمسلمون يريدون سلامًا يجلب لهم العدالة. لكن وفقًا لقانون الطبيعة، لا يمكن أن يتحقق هذا النوع من السلام أبدًا...

في العصر الحديث، النظرة العنفية لعلمائنا ومثقفينا وقادة حركاتنا هي السبب الوحيد لتفشّي العقلية العنفية السائدة في أوساط المسلمين في العالم أجمع. وكنتيجة لهذه العقلية، إذا نشر أيّ كان كتابًا ضد الإسلام، سيكون المسلمون مستعدون لقتل الكاتب.

وإذا رُفِعت في موكب أية شعارات مناهضة للإسلام، فسيبدأ المسلمون في رجم الموكب بالحجارة بدلاً من دفن هذا الشر في مهده بالتزام الصمت الذي سيكون، كما دعا عمر الفاروق له، الاستراتيجية الأنجع في هذه الحالة. وإذا كان هناك أي خلاف مالي أو إقليمي مع أية دولة، فسوف يتنكّب المسلمون السلاح ضدها على الفور، عوضًا عن اعتماد استراتيجية سلمية لحل الخلاف.

إن العقلية العنفية للمسلمين هي المسؤولة عن عزلهم عن مجاوريهم في كل مكان. فسلوكهم يبيِّن بوضوح أنهم لم يعودوا يَعزّون مثال الأخوة العالمية. ففي كل مكان، يُنظَر إليهم بمقت وفزع. وبوسع المرء حتى أن يلاحظ كتابات على الجدران تقول: "إحذروا المسلمين"، بدلاً من "إحذروا الكلاب".

وإن لم تكن هذه الكلمات منقوشة على الجدران، فمن المؤكد أنها منقوشة في قلوب وعقول الآخرين. وقد جعل هذا الانفصال من المسلمين مجموعة متخلِّفة في العصر الحديث. فحتى في البلدان المتقدمة مثل أمريكا، يبقى المسلمون متخلّفون كجالية بالمقارنة مع الجماعات المهاجرة الأخرى.

إن السبيل الوحيد للتخفيف من محنة المسلمين المأساوية هو إعادتهم إلى الإسلام اللاعنفي، عن طريق مساعدتهم على فهم أن نسختهم العنفية للإسلام ليست بالنسخة الحقيقية.

حالما يسلك المسلمون طريق الإسلام اللاعنفي، سيكون بمستطاعهم أن يصبحوا شركاء على قدم المساواة مع الجاليات الأخرى. وسيكونون قد انضموا إلى الاتجاه العام العالمي، وبالتالي القدرة على المشاركة في كل الأنشطة، وفي كل المؤسسات. وسيلقون ترحيبًا من الناس بدلاً من الخوف منهم. وسيصبحون جزءًا من الأخوة العالمية. وسيُنظَر إلى قضاياهم بعدالة. وستكون شراكتهم متساوية بالتأكيد في جميع المؤسسات التي تتراوح بين الاجتماعية والتربوية.

التفاعل السلمي سيمنح المسلمين نوعًا من التحفيز الثقافي والتنوع في الخبرات التي لابد من امتلاكها إن شاؤوا السير في طريق التقدم. كما سيسهِّل التفاعل مهمة الدعوة على نطاق واسع. وستكون النتيجة الطبيعية لهذا التفاعل الواسع بين المسلمين وغير المسلمين بدء حوار حول الإسلام في كل مكان، رسميًا كان أم غير رسمي. ففي العصر الحديث، وبسبب الموقف المتطرف والعنيف للمسلمين، انقطع الحوار الجدّي بين الإسلام وما عداه تقريبًا. والآن، عندما يجري تفاعل سلمي بين المسلمين وغير المسلمين في أجواء طبيعية، سينجم عنه حوار جدّي تلقائيًا. وبداية حوار جدّي بين الإسلام وغير الإسلام هو، بلا شك، نجاح باهر من وجهة نظر الدعوة.

يصف القرآن صلح الحديبية، في الفترة المبكرة من الإسلام، بـ"النصر المبين". لقد كان "نصرًا مبينًا" بمعنى أنه أسّس سلامًا بين المؤمنين بالتوحيد وبين المؤمنين بالشرك، وبالتالي إمكان قيام حوار جدي بين الطرفين بخصوص المسائل الدينية.

إذا تخلّى المسلمون، في العصر الحديث، عن سبيل العنف وتبنّوا تمامًا سبيل اللاعنف، سيكون هذا بالنسبة إليهم بمثابة إحياء لسُنّة الحديبية، وبالتالي البدء في تلقّي تلك المنافع العظيمة التي كان قد كسبها الإسلام والمسلمون بعد صلح الحديبية.

السلام والعدل

تتمثّل إحدى المشاكل الكبرى بالنسبة للمسلمين في أن السلام لا يضمن لهم العدالة بالضرورة. وهذا ما سبّب في اندفاع المسلمين صوب العنف وإهمال فرص الدعوة. فالمسلمون يريدون سلامًا يجلب لهم العدالة. لكن وفقًا لقانون الطبيعة، لا يمكن أن يتحقق هذا النوع من السلام أبدًا، ولذا يجد المسلمون أنفسهم، في كافة أنحاء العالم، في حالة من الاضطراب الفيزيولوجي والذهني. وقد أصبحوا، لكونهم متأسّين، عنيفين في تفكيرهم وفي أعمالهم.

> فلدى معاينة أعمال المسلمين، يجد الناس اليوم صعوبة في تصديق أن الإسلام دين سلام

والحقيقة هي أن السلام لا يُنتج العدالة تلقائيًا. فالسلام، في واقع الأمر، يشرع الأبواب ببساطة أمام تحقيق العدالة. ففي زمن الحديبية، لم يكن نبي الإسلام قد بلغ العدالة؛ لقد أنجز سلامًا، لكن بفصله عن العدالة فحسب. ولم يعقد النبي هذا السلام من أجل انتزاع العدالة، بل للحصول على الفرص. وقد تفتّحت فرص عظيمة من أجل عمل الدعوة مع تأسيس السلام. واستغل النبي هذه الفرص إلى الحد الأقصى. ولذا، في غضون سنوات قليلة، لم يضمن النبي العدالة فحسب، بل وأشاد الإسلام على أسس متينة أكثر بكثير أيضًا.

يتوجب على مسلمي اليوم فهم سرّ الطبيعة هذا. وعندئذ فقط سيكون من الممكن بالنسبة لهم بلوغ السلام أولاً، ومن ثم هدفهم المنشود في العدالة في نهاية المطاف.

خاتمة

في تشرين الأول من العام 1997، التقيتُ برجل أوروبي في السادسة والثلاثين من عمره، اسمه ليون زيبو هايز، من مواليد مدينة كريستشيرش في نيوزيلندا. وبعد دراسته للإسلام غيّر دينه، وأصبح اسمه الإسلامي خليل الرحمن. وهو يؤدي فريضة الحج لدى مروره عبر البلدان الإسلامية برًّا.

قال، أثناء المحادثة، إن المسلمين في العصر الحديث منشغلون في حروب دامية في العديد من بقاع الأرض: حروب مع الآخرين في أماكن، وحروب فيما بينهم في أماكن أخرى. وقد أدى به هذا (كما هو حال الكثيرين) إلى الاستنتاج بأن الإسلام دين عنف. وفيما بعد، انكبّ على دراسة القرآن مُترجَمًا، وحين وصل إلى هذه الآية القرآنية: ﴿من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل البشر جميعًا﴾ (32:5)، قال أن مشاعره أُثيرت إلى حد لم يكن بوسعه تصديق أن هذا وارد في القرآن. وهذه الحادثة مؤشر بشكل واسع على تفكير غير المسلمين فيما يتعلق الإسلام. فلدى معاينة أعمال المسلمين، يجد الناس اليوم صعوبة في تصديق أن الإسلام دين سلام. لكن إن توقف المسلمون عن التورط في أنشطة عنفية ومنحوا الناس الفرصة لتقدير الإسلام حق قدره في شكله الأصلي، فمن المؤكد عندها أن يدرك عدد هائل من الناس، كما لم يكونوا قد أدركوا من قبل مطلقًا، أن الإسلام دين سلمي وسيهرعون إليه معتبرين أنه هو بالضبط الدين الذي كانت تهفو إليه أرواحهم على الدوام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيرًا أو يُعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له"
رواه ابن حبان في صحيحه(87)، بإسناد حسن.



نماذج من نصوص الإجازات العلمية

إجازة الشيخ حمدان الونيسي لابن باديس

بقلم : الأستاذ هارون بن عبد الرحمن آل الباشا | باحث محقق في التراث الجزائري

الْحَمد لله الَّذِي رفع من وقف بِبَابِه، وأرشد من أسند أُموره لأهل الأَثر وأربابه، وَأَجَاز على العَمَل الحسن الصَّحِيح أحسن إجازة، العَزِيز الفَرد الَّذِي يُفْتَتَحُ باسمه كل أمر ذِي بَال، وَأشْهد أَن لَا إله إلا الله المُفيضُ نعمه على كل عَزِيز وغريب، وأشهد أَن سيدنَا مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، الَّذِي بَقَاءُ سِلسلة السَّنَد إليه أقوى معْجِزَة وأعظم آيَة، وأُصَلِّي وَأسلم عَلَيْهِ فَهُوَ خير مُرْسل، ذِكرهُ عِنْد الله مَرْفُوع، فإليه يَنْتَهِي كل مَرْوِيٍّ من الفضل ومسموع، هُوَ المنزل عَلَيْهِ أحسن الحَدِيث، ثمَّ على آله وأصحابه الَّذين آنسوا أَحْوَاله وآثاره، واقتبسوا أضواءه وأنواره، واقتفوا آثاره وسننه، وأَنْهَوْا إلى من بعدهمْ سنَنَه، ثمَّ على التَّابِعين لَهُم المهتدين، صَلَاة وَسلَامًا مترادفين إِلَى يَوْم الدِّين، وَبعد:

فقد اعتنى أهل الصِّناعة الحديثية، بحديث اصطلحوا على تسميته: "الحديث المسلسل بالأولية"، وهو قوله ﷺ: {الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ}، فتداولته الأمة، وقدَّمُوهُ في الرِّواية على غيره، فَعُلِمَ أَنَّ مَبْنَى العلم على التراحم والتوادد، لا على التدابر والتقاطع، فإذَا شَبَّ الطَّالِبُ عَلى ذلك شَبَّت معه نعرة التعارف والتراحم، فيشتدُّ ساعده بذلك، فلا يشيب إلاَّ وقد تَخَلَّقَ بالرَّحمَة وعَرَّفَ غيره بفوائدها ونتائجها، فيتأدب الثاني بأدب الأول.

وتأسيًا بمن سبقني من أهل العلم، ممن خاضوا غمار هذا الفن، آثرت أَنْ أَدْلُوَ بِدَلوي بهذا المدخل، علَّه يُقرِّبُ المَنشُود:

أولا: "المَشْيَخَةُ": جمْع شَيخ - على وزن مَفْعَلَة-، والمقصود هنا: الكُتب - كالفهارس والبرامج - الَّتِي تَشتمِل على ذِكرِ الشُّيوخ الذين لقيهم المؤلف، وأخذ عنهم أو أجازوه، وإن لم يلقهم، مع التنويه بأهميتها البالغة في ضَبطِ أسْماءِ الرُّوَاةِ وَألفاظِ المُتون، مَع بَيان طُرقِ الأَخذِ وَالسَّماع لأحاديث الرَّسُول الكَرِيم ﷺ.

ثانيا: "الإجازة": وهي التي تهمنا هنا -: وهي عبارة عن إذن من الشيخ بالرِّواية، إما بالتلفظ أو بالكتابة، وينبغي للمجيز كتابةً أن يتلفظ بها أيضا، فإن اقتصر على الكتابة مع قصد الإجازة صَحَّت.

و"**الإجازة العلمية**" سُنَّة متَّبعة في كثير من قلاع العلم، على غرار: "**جامع القرويين**" بفاس، و"**جامع الزيتونة**" بتونس، و"**جامع الأزهر**" بالقاهرة، عَلى أنَّ جُلَّ الشُّيوخِ كانوا يَخصُّون الطَّلبة والأصحاب بأنواعها عند إنهاء الأخذ عنهم؛ وقد مَشى علماء بلدنا – حرسه الله من كل سوء – على هذه السُّنَّةِ المُباركة إِلَى قريبٍ من زماننَا، بل ولقد ذاع لبعض أهلها صيتٌ في أصقاع الدنيا.

ولا شَكَّ أَنَّ نصَّ الإجازة الذي نقدِّمهُ، مِن النصوص التِي لم يُكتب له الذِّيع والصِّيت من قِبَلِ أصحابِ التَّوارِيخِ وَالتَّراجِمِ، مَع أَنَّ صَاحِبَها مِن الشَّخصِياتِ العِلمِيَّةِ الَّتِي كَانَ لها أَثرٌ في حَياةِ أرضِ الجزائر، ألا وهو نَصُّ إجازة العلَّامة محمد حمدان بن أحمد الونيسي القسنطيني ثُمَّ المدني، لتلميذه الألمعي الإمام الشيخ عبد الحميد بن محمد مصطفى بن باديس.

يقول الإمام العلَّامة محمد حمدان الونيسي في إجازته:

"نحمدك اللَّهم عَلى نعمك ونشكرك على عميم كرمك، ونصلي ونسلم على منبع الكمالات سيدنا محمد المرسل بالآيات البينات، وعلى آله سفائن النجاة المرسلات وأصحابه ذوي الفضائل المسلسلات وبعد:

فإنه لما كان العلم محط الرحال ومنتهى الآمال، ومشرق السعادة وأفق السيادة، وكان من جملة من قرأ علينا واستفاد وامتاز بصفة العلم والإدراك بين الأنداد، إبننا الفقيه الأجل سيدي: عبد الحميد بن الشيخ ابن باديس.

وكنت أجزته مشافهة، إذ كنت بالأقطار الجزائرية أعادها الله دار إسلام، ولما أردت مبارحتها أوصيت أباه الأجل سيدي محمد المصطفى بأن يرسله إلى تونس، يكمل قراءته ويُشفِي علَّته ويطفئ حرارته، فتم مراده ولله الحمد، وحَصَّل ورجع إلى بلده قسنطينة لإفادة طلاب العلم ومريدي صحيح الإدراك والفهم .

ثم في هذه السنة جاء حاجًّا إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبره – عليه الصلاة والسلام -، ومكث عندنا بالمدينة المنورة إلى مولده ﷺ، ولما عزم على السَّفر إلى مسقط الرأس حيثُ المُستَقرّ، طلب من الفقير أن يسطِّر له ما كان شفاهًا، ليتم له المقصود من الإجازة ويكمل بهاءها، فقلت بعد الاستخارة وأنا الفقير الذي لا حول لي ولا قوة متطفلا على موائد الكرام ذوي المفاخر العظام، عسى أن ينفعني بهم وإياه فإنهم أهل القرب والجاه: قد أجزت إبننا المذكور في كل ما عندي من المعقول والمنقول والفروع والأصول، إجازة عامة مطلقة، بشرط أن يعطي من التأمل والبحث كل مسالة حقها ومن بيانها وتوضيحها واجبها ومستحقها، وأن يفوض العلم لله في كل ما لم يصل إليه علمه، عملا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/36].

وإني أروي التفسير والحديث، والفقه والأصول، وسائر العلوم الآلية، عن شيخنا العلامة سيدي: أبي المواهب عبد القادر القسنطيني ابن الإمام أبي محمد الشيخ سيدي عبد الله المجاوي – أطال الله حياته آمين -، عن شيخه سيدي صالح الشاوي، وخاتمة المحقِّقين سيِّدي محمــد قنون الفاسيين؛ وعن جميع مشيخة قسنطينة الذين أدركتهم، وعن غيرهم من جلة المشايخ بالمغارب والمشارق، أخص منهم:

العلَّامة حافظ الحجاز، الشيخ سيدي فالح بن محمد الظاهري الحجازي - رحمه الله -، فإنَّهُ أجازني بجميع ما في "ثَبتِهِ" المحتوي على أسانيد الكتب الست وغيرها من كتب الحديث، وعلى أسانيد الفقه إلى الأئمة الأربعة - رضي الله تعالى عنهم -، وعلى سند من كتب الأصول إلى أربابها، وكذلك الكثير من كتب العلوم الآلية؛ فرحم الله مؤلفه وجزاه خيرا آمين.

فليصل إبننا المُجازُ نَفسه برجال "**الثبت**"، وليقل: أَنبأنَا فُلان، أعني الفقير المُجِيزُ عن صَاحب "الثبت" إلى آخره؛ وإني أوصي الفقيه المُجاز بتقوى الله وطاعته، وأحذِّرهُ وَإيَّاي من مَعصيَتِه وَمُخالفَته: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل/124]، وأن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته، فَإنَّ دُعاءَ المُؤمن لأخِيه المُؤمن عن ظهر الغيب مُستجابٌ.

والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من خَرَّ لربِّه راكعًا وأنابَ، وعلى آله وأصحَابه خُلفَـاء السَّيف والبَذل والصَّوم والمحراب؛ تحريرا في الثالث عشر من ربيع الأنوار عام (1332هـ) إثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف من هجرة من هو على أكمل وصف عليه السلام ".

تم المقصود، والحمد لله أولا وآخرا.

اسم الكتاب	تصحيح الشيخ	الشهادة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على نعمك ونشكرك على عميم كرمك ونصلي ونسلم على منبع الكمالات سيدنا
محمد المرسل بالآيات البينات وعلى آله سفائن النجاة المرسوات وأصحابه ذوي الفضائل
المسلسلات وبعد فإنه لما كان العلم محط الرحال ومنتهى الآمال ومشرق السعادة
وأفق السيادة وكان من جملة من قرأ علينا واستفاد وامتاز بصفة العلم والإدراك بين
بني الأنداد ابننا الفقيه الأجل الشيخ سيدي عبد الحميد ابن الشيخ بن باديس وكنت أجزته
مشافهة إذ كنت بالأقطار الجزائرية أعادها الله دار إسلام ولما أردت مبارحتها أوصيت
أباه الأجل سيدي محمد المصطفى بأن يرسله إلى تونس يكمل قراءته ويشفي غلته ويطفي حرارته
فتم مراده ولله الحمد وحصل ورجع إلى بلده قسنطينة لإفادة طلاب العلم ومريدي صحيح
الإدراك والفهم ثم في هذه السنة جاء حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة
والسلام ومكث عندنا بالمدينة المنورة إلى مولاه صلى الله عليه وسلم ولما عزم على السفر إلى
مسقط الرأس حيث المستقر طلب من الفقير أن يسطر له ما كان شفاها ليتم له المقصود من الإجازة
ويكمل إيجابها فقلت بعد الاستخارة وإنه الفقير الذي لا حول لي ولا قوة تطفلا على موائد
الكرام ذوي المفاخر العظام عسى الله أن ينفعني بهم وإياه فإنهم أهل القرب والجاه فقد أجزت
ابننا المذكور في كل ما عندي في المعقول والمنقول والفروع والأصول إجازة عامة مطلقة بشرط
أن يعطي من التأمل والبحث كل مسألة حقها من بيانها وتوضيحها واجبها ومستحقها وأن يفوض
العلم لله في كل ما لم يصل إليه علمه عملا بقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وإني أروي التفسير والحديث والفقه والأصول
وسائر العلوم الآلية عن شيخنا العلامة سيدي أبي المواهب عبد القادر القسنطيني
ابن الإمام أبي محمد الشيخ سيدي عبد الله المجاوي أطال الله حياته آمين عن شيخه سيدي
صالح الشاوي وخاتمة المحققين سيدي محمد قنون الفاسيين بسندهما وعن جميع مشيخة
قسنطينة الذين أدركتهم وعن غيرهم من جلة المشايخ بالمغارب والمشارق وأخص منهم
العلامة حافظ الحجاز الشيخ سيدي صالح بن محمد الظاهري الحجازي رحمه الله فإنه أجازني
بجميع ما في ثبته المحتوي على أسانيد الكتب الست وغيرها من كتب الحديث وعلى أسانيد
الفقه إلى الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم وعلى سند كتب مهمة من الأصول إلى أربابها وكذلك
الكثير من كتب العلوم الآلية فرحم الله مؤلفه وجزاه خيرا آمين فليتصل ابننا المجاز بنفسه
برجال الثبت وليقل أنبأنا فلان أخبرني الفقير المجيز عن صاحب الثبت وإني أوصي الفقيه
المجاز بتقوى الله وطاعته وأحذره وإياي من معصيته ومخالفته إن الله مع الذين اتقوا

إجازة العلامة حمدان الونيسي

اسم الكتاب	تصحيح الشيخ	الشهادة العلمية

والذين هم محسنون وأن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته فإن دعاء المؤمن
لأخيه المؤمن عن ظهر الغيب مستجاب والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من خر له راكعا وأناب وعلى آله وأصحابه
حلفاء السيف والبذل والصوم والمحراب تحريرا في الثالث عشر من ربيع الأنور
عام ١٣٣٢ اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف من هجرة من هو على الكمال
وصف عليه السلام

صح

محمد حمدان الونيسي غفر له آمين



الرواة الأوائل لصحيح البخاري
من علماء الجزائر

إعداد: د. علال بوربيق

أستاذ مشارك لمقياس:

مدخل إلى الشريعة الاسلامية بالمركز الجامعي بالبيض.

مرحلة دكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بوهران.

ألف الإمام البخاري (194هـ- 256هـ)، كتابه النفيس، المسمى بـ"**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**"، بعد سماعه لكلمة ألقيت في أحد المجالس العلمية التي كان يقيمها الإمام الحافظ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، المعروف بـ"ابن راهوية" (238هـ).

ولم أقف عل من حدد تاريخ بداية التأليف، إلا أنه يمكن استنباط ذلك من خلال بعض الحوادث المسجلة في ترجمته، فقد بدأت فكرة التأليف في مدينة نيسابور، وفي مجلس عالمها ومسندها إسحاق بن راهوية(238هـ)، المقيم بمدينة نيسابور.

فقد ذكر تلميذه محمّد بن يوسف الفربري قال: قال لنا أبو عبد الله البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا في الصحيح لسنن رسول ﷺ ، فوقع ذَلِكَ في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب." [1]

وقد ذكر الحاكم النيسابوري أن الإمام البخاري دخل مدينة نيسابور مرتين أولاهما كانت سنة (209هـ)، والثانية كانت في أخر حياته.

إذا فبداية التأليف كانت بعد سنة (209هـ).

ومن المعلوم أن الإمام البخاري أمض في تأليف جامعه (16) سنة، ولما أتمه عرضه عل عادة العلماء في ذلك الزمان عل حفاظ عصره، وهم: الإمام يحيى بن معين(233هـ) والحافظ علي بن المديني(234هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (241هـ) ، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث.

وعليه فإن سنة (233هـ)، عل أقص تقدير؛ هي نهاية التأليف، لأنها السنة التي توفي فيها الإمام يحيى بن معين(233هـ)

إذاً صنف الإمام البخاري صحيحه ما بين سنتي (209هـ)، و(233هـ)، ومكث في تأليفه (16) سنة، وانتخبه من (600.000) حديث، وورد أنه قال:"صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله -عز وجل-" [2]

وقد أحاط الإمام البخاري صحيحه بمجموعة من القربات والعبادات، ليحصل له القبول عند الله، وليضع له الرض عند الناس :"**ما كتبت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.**" [3]

ما أدخلت فيه حديثًا إلا بعد ما اسْتخرت الله تعالى وصليت ركعتين، وتيقنت صحته." [4]

فهي اغتسال، وصلاة، واستخارة، وتطبيق محكم لمنهج دقيق في الرواية والنقد.

ثم ختم ذلك باختياره لأشرف بقعة في الوجود، فقد شهد عدة مشايخ: أن محمّد بن إسماعيل البخاري حول تراجم جامعه -يعني بيضها- بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين." [5]

واجتهد في إسماع مصنفه الجليل، وكثر الراغبون في سماعه، حت بلغ من سمعه عنه تسعون ألف راو، يقول الإمام محمّد بن يوسف الفربري:" سمع جامع البخاري، منه تسعون ألفا ، فلم يبقَ منهم أحد يرويه غيري، وقال: قرأت على البُخاري صحيحه ثلاث مرات، مرة سنة (251هـ)، ومرة سنة (253هـ)، ومرة سنة (255هـ)." [6]

وفي رواية أخرى:

"كان سماع الفربري من البخاري -يعني"صحيحه"- مرتين: مرة بفربر سنة(248هـ)، ومرة ببخارى سنة(252هـ)." [7]

وحدث عن الفربري فئام من الناس منهم: الفقيه ، والحافظ أبو علي بن السكن(353هـ)، أبو زيد المروزي(371هـ) ومحمّد بن محمّد الجرجاني(373هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ)، ومحمّد بن عمر بن شبويه(378هـ)، وأبو محمّد بن حمويه السرخسي(381هـ)، وأبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي(386هـ) وأبو الهيثم الكشميهني(389هـ)، وإسماعيل بن حاجب الكشاني(391هـ).

وانتشرت رواية الصحيح في البلدان، فكان أول من أدخله لإفريقيا، هو الإمام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز (353هـ)، يقول الذهبي في ترجمته:" كان أول من جلب الصحيح إلى مصر، وحدث به." [8]

وأول من أدخله إلى القيروان، حافظها ومسندها الكبير، الإمام أبو الحسن علي بن محمّد القابسي(403هـ)، وذلك سنة (357هـ).

وأول من أدخله إلى بلاد الأندلس، الإمام أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)، وذلك سنة (365هـ).

وكانا قد رحلا معا – القابسي والأصيلي- سنة، ولقي بالمشرق طائفة من تلامذة الإمام محمّد بن يوسف الفربري (320هـ) راوي الصحيح عن الإمام محمّد بن إسماعيل البخاري (256هـ).

وفي هذه الدراسة سأتناول أربعة من علماء الجزائر، كان لهم مساهمة كبيرة في رواية الجامع الصحيح، وذلك من خلال الرحلات التي قاموا بها شرقا وغربا، من أجل سماعه، والتحديث به فيما بعد، وهم:

1. الإِمَامُ أبو جعفر زكرياء بن بكر التيهرتي.
2. الإِمَامُ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني.
3. الإِمَامُ أبو بكر يحيى بن عبد الله الوَهْرَانِي.
4. الإِمَامُ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى التَّمِيمِي، التِّيهَرْتِي(505هـ).

أولا:

الإِمَامُ أبو جعفر زكرياء بن بكر التيهرتي

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو أبو جعفر زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني، التيهرتي، المعروف بـ"ابن الأشج"، ويكنى أيضا: بـ"أبي يحي".[10]

الغساني: منسوب إلى غَسَّانِ مازِنِ بنِ الأزدِ بن الغَوث، قال الدَّارَقُطني: قبيلة، وقال أبو نَصر وغيره: ليس قبيلة، وإنما هو ماء. وقال ابن الكلبي: مازن إليه جِماع غَسَّان. وإنما غسان ماء شربوا منه فسُمي غَسَّان، وقال في ذلك الأنصاري:
إمَّا سَألتِ فإنَّا معشر نُجُب ... الأزدُ نسبتُنا والماءُ غَسَّانُ [11]

وعليه فابن الأشج التيهرتي يرجع نسبه إلى القبائل العربية الداخلة إلى إفريقيا أيام الفتح أو بعده.

التيهرتي: نسبة إلى مدينة تيهرت، التي بناها الرستميون، وكانوا قديما يقولون عنها: عراق المغرب، وبعضها على جبل جزول، ويمر بها نهر يقال له: مينة، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهي اليوم إحدى مدن الغرب الجزائري، تبعد عن عاصمة البلاد بحوالي:268كلم.

وابن الأشج: هو لقب جده الثاني، واسمه: أحمد[12]

مولده: قال تلميذه الإمام ابن الفرضي:"قال لي: ولدت بتيهرت سنة (310هـ)عشرة وثلاث مائة."[13]

شيوخه ورحلته في طلب العلم

لا ندري على وجه التحديد سبب هجرة هذه العائلة من تيهرت إلى الأندلس، إذ قد عرفنا سابقا أن ابن الأشج التيهرتي، ولد بمدينة تيهرت، و قد حدد الإمام ابن الفرضي تاريخ هذه الهجرة فقال:" دَخَل الأندلُس مع أبيه وأخيه سنة (326هـ)."[14]

لكننا نستطيع تحديد سبب هجرة الناس في ذلك الزمان، فهي راجعة إلى أسباب ثلاثة في نظري:

أولها: الاضطراب السياسي الواقع في مدينة تيهرت.

ثانيا: طلب العلم، فقد كانت بالأندلس حضارة لا نظير لها في ذلك الزمان، والعلم تبع للعمران كما يقول العلامة ابن خلدون.

ثالثا: التجارة، فقد عرفنا أن ابن الأشج التيهرتي كما يصفه تلميذه الإمام ابن الفرضي:"كان الغالب عليه التجارة."[15]

و مهما يكن سبب تنقل العائلة، فإن عالمنا ابن الأشج التيهرتي، اشتغل بالعلوم وتمهر فيها، ولازم مجالس العلم ونهل منها، وتنقل بين مدن الأندلس، فلازم بإشبيلية وقرطبة جماعة من الأئمة منهم:

★ أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك ابن أيمن(330هـ): سمع منه المدونة.

★ أبو محمّد قاسم بن أصبغ القرطبي (340هـ)

وكانت الرحلة إليهما في زمانهما بعد عودتهما من المشرق بعلم غزير، ورواية عالية.[16]

وبعد ما نهل ابن الأشج التيهرتي من قرطبة علومَها، توجه نحو المشرق، فقصد مصر فسمع بها من:

★ أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز (353هـ)

★ أبي محمّد عبد الله بن جعفر بن الورد المصري (351هـ)

★ أبي قتيبة سلم بن الفضل البغدادي (351هـ)، نزيل مصر

★ أبي محمّد الحسن بن رشيق المصري(370هـ) [17]

ولقي بمصر: أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر (354هـ)، وأخذ عنه ديوان شعره رواية، ثم شد الرحال إلى تنس، فلقي بها أبا الخصيب (ت ؟)، فسمع منه ولازمه.

ثم قفل راجعا إلى الأندلس فلم يزل معلما، وراوية للحديث والشعر.[18] إلى أن توفي بها ليلة الأربعاء لإحدى عشر يوما خلت من شهر رمضان سنة (393هـ) ثلاث وتسعين وثلاث مائة. ودفن يوم الأربعاء بمقبرة متعة.[19]

تلاميذه

اهتمت المصادر الأندلسية التي ترجمت للأعلام بذكر تلامذة الإمام ابن الأشج التيهرتي، وهذا ما وقفت عليه من خلال كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وكتاب الصلة لابن بشكوال:

★ أبو الوليد عبد الله بن محمّد المعروف بـ"ابن الفرضي"(403هـ)[20]

★ أبو حزم جهور بن محمّد القرطبي(435هـ)[21]

★ أبو عثمان سعيد بن عيسى بن ديسم الغافقي القرطبي(422هـ)[22]

★ أبو عبد الله محمّد بن مضي النحوي القرطبي(ت ؟)[23]

★ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله المعافري القرطبي (439هـ)[24]

★ أَبُو الْقَاسِم الْعقيليّ القرطبي (400هـ)[25]

روايته لصحيح البخاري

ظل أهل المغرب والأندلس محرومين من رواية الصحيح قرابة قرن من تأليفه، إلى أن قيض الله له رجالا، اعتنوا به، ونقلوه إلى إفريقيا، وكان في مقدمتهم الإمام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز(353هـ)، أصله بغدادي، نزل مصر بعد أن أكثر الترحال ما بين النهرين: نهر جيحون، ونهر النيل، يقول الإمام الذهبي عنه:" سمع بخراسان صحيح البخاري من محمّد بن يوسف الفربري، فكان أول من جلب الصحيح إلى مصر، وحدث به."[26]

فكانت فرصة سانحة لابن الأشج التيهرتي أن يلاقي هذا الإمام حين دخوله مصر، ويسمع منه هذا السفر العظيم.

ولما ورد ابن الأشج التيهرتي إلى الأندلس وجد الإمام الأصيلي(392هـ)، يحدث بالصحيح، فتنكب عن منافسته، ولنذع القاضي عياض، يسرد لنا هذه القصة كما هي في ترتيب المدارك إذ يقول:" ولما ورد أبو يحيى ابن الأشج من أهل المشرق، وكان قد روى كتاب البخاري، سئل إسماعه فقال: لا يراني الله أحدث به والأصيلي حي أبدا، فلما مات الأصيلي أسعف."[27]

فجلس بعد وفاة الإمام الأصيلي، يحدث ويجيز، قال ابن الفرضي:"حدث بكتاب البخاري وغير ذلك من روايته، وسمعنا منه كثيرا، وكتب عنه غير واحد.. وأجاز لنا جميع ما رواه."[28]

وعليه فسنده إلى الإمام البخاري هو كالتالي:

أبو جعفر زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني التيهرتي(393هـ)، عن الإمام أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن(353هـ)، عن الإمام أبي عبد الله محمّد بن يوسف الفربري(320هـ)، عن الإمام أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري(256هـ).

ثانيا:

الإِمَامُ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر، يعرف بـ"ابن الخراز"، الهمداني، المغربي، الوهراني ثم البَجَّانِي.[29]

الهمداني: منسوب إلى هَمْدان، واسمه أَوْسَلَةُ بنُ مالك بنِ زيد بن ربيعة بن أَوْسَلَة بن الخِيَار بنِ مالك بنِ زيد بنِ كهلان بنِ سبأ، الشعب العظيم، يُنسب إليه بشر كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والشعراء.[30]

الوهراني: نسبة إلى مدينة وهران، وقد أثبت له هذه النسبة، الإمام ابن بشكوال(هـ)، والإمام الذهبي(748هـ)، والإمام الحميدي(هـ)، والإمام ابن عبد البر(463هـ)، وهي إحدى أكبر مدن الجزائر، تقع في شمال غربها، على بعد (432) كيلومتر من عاصمة البلاد (الجزائر).

البَجَّانِي: نسبة إلى مدينة بَجَّانَة، وهي بالفتح ثم التشديد، وألف، ونون، ذكرها ياقوت الحموي فقال: مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة، خربت، وقد انتقل أهلها إلى المريّة، وبينها وبين المرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة مائة ميل [31] و نسب إليها لأن عائلته استوطنتها.

مولده: نقل الإمام الحميدي(488هـ)، عن ابن شنظير (402هـ) أنه قال:"إن مولده في سنة(338هـ)ثمان وثلاثين وثلاث مئة."[32]

شيوخه ورحلته في طلب العلم

سافر في طلب العلم، والتكسب حتى وصل إلى أقصى خراسان، وعني بالرواية، وطالت رحلته حتى قال ابن ناصر الدين الدمشقي (842هـ):"له رِحْلَة وَاسِعَة، أَقَامَ فِيهَا نَحْو عشْرين سنة."[33]

فمر في طريقه بالقيروان، فسمع من أبي العرب تميم بن محمّد القيرواني(359هـ)

و بمصر من: أبي محمّد الحسن بن رشيق المصري(370هـ)، و غيره.

و توجه إلى الحجاز قاصدا مناسك الحج

ثم دخل بغداد: فسمع بها من أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك بن حمدان القطيعي(368هـ)، والقاضي أبي بكر الابهري(375هـ)، وطائفة.

ثم رحل إلى مدينة بلخ: فروى بها عن: إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ) صاحب الإمام الفربري.

ومنها إلى مرو: فسمع بها من محمّد بن عمر بن شبويه(378هـ)، صاحب الإمام الفربري.وقدم إلى بلاده بإسناد عال جدا.[34]

تلاميذه

★ الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (463هـ)

★ الإمام الحافظ أبو محمّد علي بن أحمد بن حزم الظاهري(456هـ)

★ الإمام الحافظ المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (444هـ)

★ أبو عمر أحمد بن محمّد بن الحذاء القرطبي(467هـ)

★ أبو أحمد بن يوسف بن حماد الصدفي الطليطلي، يعرف: بابن العواد(450هـ)

★ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن أسود الغساني(467هـ)

★ أبو عبد الرحمن معاوية بن محمّد بن أحمد بن معارك العقيلي: من أهل قرطبة(499هـ) وآخرون.[35]

روايته لصحيح البخاري

ولكي يحصل على إسناد عال رحل عالمنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني(411هـ)، إلى بلاد خرسان، ولقي بها مسندا الوقت في زمانهم الإمام محمّد بن عمر بن شبويه(378هـ) بمرو، والإمام إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ) ببلخ، وقد سمعا من الإمام محمّد بن يوسف بن مطر الفربري (320هـ)، راوي الصحيح عن الإمام البخاري(256هـ)، ورجع إلى بلاده يحمل إسنادا عاليا، وحدث بصحيح البخاري بحسب تعبير الإمام الذهبي.[36]

وقد احتفظ لنا الإمام ابن بشكوال(578هـ) بطرف من رحلته التي أملاها على تلامذته، فقال:" أخبرنا أبو محمّد بن عتاب رحمه الله قال: أنا أبو القاسم حاتم بن محمّد ونقلته من خطه قال: أملي علينا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني رضي الله عنه قال: لما وصلت إلى مدينة مرو، من مدائن خراسان، سمعت الجامع الصحيح على محمّد بن عمر بن شبوية المروزي(378هـ) ، فسمعنا عن شيخ بها يروي الحديث، فأتيناه لنروى عنه أيضا.

وكان اسمه علي بن محمّد الترابي يعرف به، فوجدنا معه كتابا غير بين، فوجدناه يقرأ في المصحف، وعند أصحاب الحديث أن من لا يستظهر القرآن عن ظهر قلب فهو ناقص.

وكان الرجل إماما في الحديث، فقلنا له: مثلك يقرأ في المصحف؟

فقال: ليس في أصحاب الحديث أحفظ مني للقرآن، وذلك أني أصلي به الأشفاع في كل عام، وأنا إمام قومي، فلما كبر سني ضعف بصري، فتركت القراءة في المصحف، وكان ابن أخي يقودني إلى المسجد، أصلي بالناس الفريضة، فنمت ذات ليلة، فرأيت النبي ﷺ فقال لي يا علي: لم تركت القراءة في المصحف ؟

فقلت: يا رسول الله ذهب بصري.

فقال لي: ارجع إلى القراءة في المصحف يرد الله عليك بصرك.

فقمت فتوضأت وصليت وكانت ليلة طويلة من ليالي الشتاء فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ فقال لي يا علي:؛ أقرأ في المصحف يرد الله عليك بصرك. ففكرت في قول النبي ﷺ:"من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي "[37]

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد وابن أخي يقودني، ولا أرى شيئا، فصليت بقومي الفريضة ثم انصرفت إلى منزلي، فقلت لهم: اعطوني المصحف. فقال لي أهلي: وما تريد من المصحف؟

قلت لهم: انظر فيه. فأخذت المصحف وفتحته وأخذت في القراءة ظاهرا وأنا أفتح المصحف ورقة ورقة فما طلع النهار إلا وأنا أقرأ في المصحف، وأرى حروفه أجمع، ثم تماديت في القراءة إلى الظهر، فلم يأت الظهر إلا وأنا أرى كما كنت أرى، وأنا أحدث فهذا شأني."[38]

فعلى هذا يكون سنده إلى صحيح البخاري كالتالي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني(411هـ)، عن الإمام محمّد بن عمر بن شبويه(378هـ) بمرو.

وعن الإمام إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ) ببلخ، عن الإمام محمّد بن يوسف بن مطر الفربري (320هـ)، عن الإمام البخاري(256هـ)

وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر:"وأما رواية عبد الرحمن الهمداني عن شيخه –المستملي- فأخبرنا بها أبو حيان محمّد بن حيان ابن العلامة أبي حيان إذنا مشافهة عن جده أبي حيان عن أبي علي بن أبي الأحوص عن أبي القاسم بن بقي عن شريح عن علي بن أحمد بن سعيد –ابن حزم- عن عبد الرحمن..."[39]

وكانت وفاته في ربيع الأول سنة (411هـ).

نماذج من روايته للصحيح

أولا: قال الإمام الحافظ ابن حزم الظاهري: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَبْرِيُّ ثنا الْبُخَارِيُّ ثنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ ثنا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: {الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ}.[40]

ثانيا: قال الإمام الحافظ ابن حزم الظاهري:" حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمَذَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ شَبُّوَيْهِ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الْخِيفُ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ}.[41]

ثالثا: قال الإمام الحافظ أبو عمرو الداني: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَبُّوَيْهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ، فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي "، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي، مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى ". قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ:"اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ}.[42]

ثالثا:

الإمَامُ أبو بكر يحيى بن عبد الله الوَهْرَانِي

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو أبو بكر يحيى بنُ عبد الله بنِ محمّد بنِ يحيى الجُمَحِي القُرَشِي الوَهْرَانِي.[43]

القُرَشِي: منسوب إلى قريش، وهم ولد النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيمَة بن مُدْركَة بن إلْيَاس بن مُضَر. قيل: سُمِّي قُرَيْشا لأنه جَمَع أهله بعدما تفرقوا، والتقرُّش: التجمُّع، وقيل غير ذلك.[44]

الجُمَحِي: منسوب إلى جُمَح بنِ عمرو بنِ هُصيص بنِ كعب بنِ لؤيّ بنِ غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزيمة، بطن من قريش منهم آل مظعون وغيرهم، وعامتهم بمكة.[45]

الوهراني: نسبة إلى مدينة وهران، فقد سكنها آباؤه، وولد بها، سنة (360هـ)، ثم رحلوا إلى الأندلس في طلب العلم والتجارة.

شيوخه ورحلته في طلب العلم

رحل إلى الأندلس في شبيبته، وسمع بها على جملة من الشيوخ منهم:

★ الإمام أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)[46]

★ أبو عمر أحمد بن سعدى الإشبيلي(ت ؟)[47]

★ أبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري (386هـ)[48]

★ أبو عبد الله محمّد بن أحمد ابن العطار(399هـ) [49]

★ أبو نصر هارون بن موسى النحوي(401هـ)، وغيرهم.[50]

تلاميذه

★ أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني الإشبيلي(456هـ) [51]

★ أبو محمّد بن خزرج (ت ؟) [52]

كان متصرفا في العلوم، قوي الحفظ، غلب عليه علم الحديث.

روايته لصحيح البخاري

ولما دخل الإمام أبو بكر يحي بن عبد الله الوهراني الأندلس، وافق بها رجوع الإمام أبي محمّد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)، قافلا من المشرق سنة (366هـ) بعلم جم، وأسانيد عالية، وأغلاها وأنفسها، الجامع الصحيح، فقد كان أول من أدخلها إلى بلاد الأندلس.[53]

وكان الغالب عليه علم الحديث، وصف بذلك ابن الفرضي حيث قال:"وكان متصرفا في العلوم قوي الحفظ، حسن الفهم. وكان علم الحديث أغلب عليه."[54]

وروايته للصحيح عالية عند أهل الأندلس، وسنده إلى البخاري كالتالي: أبو بكر يحيى بن عبد الله الوهراني(430هـ) عن أبي محمّد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ) عن الإمام أبي زيد محمّد بن أحمد المروزي(371هـ)، والإمام أبي أحمد محمّد بن محمّد الجرجاني(373هـ)، معا عن أبي عبد الله محمّد بن يوسف الفربري (320هـ) عن الإمام محمّد بن إسماعيل البخاري(256هـ)

رابعا:

الإِمَامُ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى التَّمِيمِي، التِّيهَرْتِي.

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى بنِ حُسَينِ بن أبي السعد، أبو عبد الله التميمي، التيهرتي، نزيل سبتة.[55]

و التَّمِيمِي: نسبة إلى تَمِيم بن مر بن أد بن طابخة بن إلْيَاس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان.[56]

و التِّيهَرْتِي: نسبة لمدينة تيهرت، وقد تقدم التعريف بها، نسبه إليها تلميذه القاضي عياض. [57]

والسَّبْتِي: ونسب إليها لأنه رحل إليها مع والده، واستوطنها زمنا، وبنى مسجدها.[58]

ولد سنة (428هـ) بتيهرت، كما ضبطه تلميذه القَاضِي عياض، وانتقل به أبوه من تيهرت إلى فاس، ثم إلى سبتة، ثم رحل إلى الأندلس ثلاث رحلات، الأولى إلى إشبيلية، وكانت في مرحلة الشبيبة، والثانية إلى المرية سنة (480هـ)، وبها لقي شيخه أبا عبد الله بن المرابط الذي سمع منه صحيح البخاري، وأجازه به، والثالثة إلى قرطبة سنة (488هـ)، وبها لقي أبا علي الجياني، وأقام بها نحو من عامين، ثم عاد إلى فاس، فأبى القضاء حتى سجن، ثم أخرج منه؛ فنزل سبتة، وأقام بها إلى أن توفي صبيحة يوم السبت لسبع بقين من جمادى الأولى سنة (505هـ).[59]

قال القاضي عياض:" فمضى فقيداً حميداً، واحتفل الناس لجنازته، وولعت العامة بنعشه، مسحاً بالأكف، ولمساً بأطراف الثياب، تبركاً به رحمة الله عليه."[60]

شيوخه

تلقى العلم على مشايخ عدة، نذكر منهم: أبو عبد الله بن المرابط سَمِعَ منه صَحِيْح البُخَارِيِّ بالمَرِيَّة، وأَبو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيَّ، وقد روى عنه صحيح البخاري بقرطبة، كما ذكر القاضي عياض.[61]، وأَبو عَلِيٍّ الصَّدَفِيّ.[62] ، وأَبو مُحَمَّدٍ المَسِيْلِي، وَلاَزَمه[63]، وغيرهم كثير.

تلامذته

مُحَمَّدٍ بنُ شبونة، تفقه على يديه.[64]

الإمام القَاضِي عِيَاض بن موسى اليحصبي السبتي(544هـ)[65]

ثناء العلماء عليه

قال الإمام ابن بشكوال:

"كان من أهل العلم والفضل."[66]

قال الإمام الذهبي(748هـ):

" كَانَ حَسَنَ العَقْلِ، مَلِيحَ السَّمْتِ، مُتجمِّلاً نبيلاً، تَفَقَّهَ بِهِ أَهْل بَلَده، وَكَانَ يُسَمَّى الفَقِيْه العَاقِل، وكَانَ دَيِّناً، سرِيعَ الدَّمعَة، مُؤثراً لِلطَّلَبَة، بَنَى جامع سبتة."[67]

وقال تلمِيذُهُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بن حمَادَةَ الفقِيه:

"كان إمام المغرب في وقته، ولم يكن في قطر من الأقطار منذ يحيى بن يحي الأندلسيّ من حمل الناس عنه أكثر منه، ولا أكثر نجابة من أصحابه."[68]

قال القاضي عياض:"

رأسا في المفتين إلى أخريات أيامه...وكان كثير الكتب، حافظا، عارفا بالفقه، مليح الخط والكتابة والمحاضرة، من أعقل أهل زمانه، وأفضلهم وأسمتهم، تامّ الفضل، كامل المروءة، بعيد الصيت عند الخاصّة والعامّة، عظيم القدر."[69]

وقال صاحب جذوة الاقتباس:

"وكانت له عناية كاملة بالرواية، ومعرفة الحديث، وكان حسن الخط، ولسلفه وجاهة ونباهة."[70]

جهوده في خدمة الجامع الصحيح

ذكرت فيما سبق أن الإمام أبا عبد الله محمّد بن عيسى التيهرتي، سمع الجامع الصحيح من أبي عبد الله بن المرابط، حينما كان بِالمَرِيَّة.[71] ، وحينما دخل مدينة قرطبة، لقي بها أَبَا عَلِيٍّ الْجَيَّانِيَّ، فسمع منه الجامع الصحيح، وفي الغنية وهي فهرست القاضي عياض التي ذكر فيها شيوخه-رواية ذلك أيضا. [72]

ثم وقفت على سنده لرواية الإمام إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري، ذكرها عياض في صدر كتابه مشارق الأنوار، فقال:" وأما رواية أبي إسحاق النسفي فكتب إلي بها الشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمّد الغساني وسمعت على القاضي أبي عبد الله التميمي كثيرا مما قيد منها عنه قال حدثني بها أبو العاصي حكم بن محمّد الجذامي عن أبي الفضل بن أبي عمران الهروي عن أبي صالح خلف بن محمّد الخيام البخاري عن إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري إلا أن النسفي فاته من آخر الكتاب شيء من كتاب الأحكام إلى باب قوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله فإنه إجازة من البخاري للنسفي ثم ما بعده لم يكن في رواية النسفي إلى آخر الكتاب وذلك نحو عشرة أوراق لم يرو منها إلا تسعة أحاديث أول الكتاب آخرها طرف من حديث الإفك."[73]

(1) الذهبي في "السير (12/ 401)، والحافظ في "هدي الساري" (1/ 6 – 7)
(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" 2/ 185 (1562)، فتح الباري (1/489)
(3) الذهبي في "السير" 12/ 452، والحافظ ابن حجر في فتح الباري (1/7)
(4) فتح الباري (1/347)
(5) فتح الباري (1/347)
(6) جامع الأصول(12/895)
(7) فتح الباري (1/347)
(8) سير أعلام النبلاء (16/117)
(9)
(10) ترجم له في الكتب التالية: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (1/317-319)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 275. تاريخ الإسلام (9/194)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس (1/366)، سير أعلام النبلاء (13/90)، ترتيب المدارك (4/690-691)، الأنساب (13/372)، اللباب في تهذيب الأنساب (3/376)، معجم البلدان (5/386)
(11) عجالة المبتدي و فضالة المنتهي في النسب (1/29)
(12) تاريخ علماء الأندلس (1/179)
(13) المصدر نفسه (1/180)
(14) المصدر نفسه (1/179)
(15) تاريخ علماء الأندلس (1/180)
(16) تاريخ علماء الأندلس (1/180)
(17) الصلة (1/380)
(18) تاريخ علماء الأندلس (1/180)
(19) المصدر نفسه (1/180)، و بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص: 293.
(20) تاريخ علماء الأندلس (1/180)
(21) الصلة (1/130)
(22) المصدر نفسه (1/213)
(23) المصدر نفسه (1/482)
(24) المصدر نفسه (1/501)، تاريخ الإسلام (9/584)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب(2/324)
(25) المصدر نفسه (1/461)
(26) سير أعلام النبلاء (16/117)
(27) ترتيب المدارك (7/139)
(28) تاريخ علماء الأندلس (1/180)
(29) ترجم له في الكتب التالية: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (1/317-319)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 275. تاريخ الإسلام (9/194)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس (1/366)، سير أعلام النبلاء (13/90)، ترتيب المدارك (4/690-691)، الأنساب (13/372)، اللباب في تهذيب الأنساب (3/376)، معجم البلدان (5/386)
(30) عجالة المبتدي و فضالة المنتهي في النسب (1/36)



(31) معجم البلدان (1/339)

(32) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (1/98)، وسير أعلام النبلاء (13/90)

(33) توضيح المشتبه (9/194)، وهي بالتقريب مسافة (6570كلم)

(34) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (319-1/317)، سير أعلام النبلاء (13/90)، ترتيب المدارك (691-4/690)

(35) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 275.تاريخ الإسلام (9/194)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس (1/366)

(36) سير أعلام النبلاء (17/333)

(37) متفق عليه بلفظ :"من رآني في المنام...."، وفي رواية لمسلم :" من رآني في النوم.."

(38) الصلة (1/306)

(39) فتح الباري (1/6)

(40) المحلى بالآثار (41-1/40)

(41) حجة الوداع لابن حزم الظاهري (1/326)

(42) السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، ص: 303-302

(43) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (1/629)، تاريخ الإسلام (29/510)

(44) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي (1/30)

(45) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي (1/13)

(46) الصلة (1/629)، تاريخ الإسلام (29/510)

(47) الصلة (1/629)

(48) الصلة (1/629)، تاريخ الإسلام (29/510)

(49) الصلة (1/629)

(50) المصدر نفسه (1/629)

(51) الصلة (1/629)

(52) المصدر نفسه (1/629)

(53) صحيح البخاري في الدراسات المغربية للأستاذ محمّد المنوني، ص: 58

(54) الصلة (1/629)، تاريخ الإسلام (29/510)

(55) الصلة لابن بشكوال (1/572)، سير أعلام النبلاء للذهبي (19/266)، تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (11/62)، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (1/96)، الغنية للقاضي عياض 27- 44

(56) الأنساب للإمام السمعاني (3/77) وعجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب (1/10)

(57) الغنية للقاضي عياض 27- 44

(58) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (11/62)

(59) الغنية وهي فهرست القاضي عياض (1/29)، حركة الحديث بقرطبة، ص:101

(60) المصدر نفسه (1/29)

(61) الغنية وهي فهرست القاضي عياض (1/29)

(62) المصدر نفسه (1/29)

(63) المصدر نفسه (1/29)

(64) سير أعلام النبلاء للذهبي (19/266)

(65) الغنية وهي فهرست القاضي عياض (1/29)

(66) الصلة لابن بشكوال (1/572)

(67) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (11/62)

(68) المصدر نفسه (11/62)

(69) الغنية 27- 44 قال القاضي عياض:"فمما سمعت عليه وقرأت، فأجازنيه: موطأ الإمام مالك بن أنس، والمسند الصحيح من آثار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للبخاريّ، والمسند الصحيح المختصر من السنن لمسلم، ومصنّف السنن لأبي داود، وشرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وإصلاح الغلط لابن قتيبة، وغريب الحديث لأبي سليمان البستي الخطابي، وعلوم الحديث للحاكم النيسابوريّ، والطبقات لمسلم، والضعفاء، والمتروكين للنسائي، والمدوّنة، والملخّص لمسند الموطأ لأبي الحسن القابسي، والتقصّي لمسند الموطأ لابن عبد البرّ، ."

(70) جذوة الاقتباس، ص:428

(71) سير أعلام النبلاء للذهبي (19/266)

(72) الغنية وهي فهرست القاضي عياض (1/29)

(73) مشارق الأنوار (1/10)

قائمة المصادر والمراجع

• الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لخلف بن بشكوال، تحقيق إدارة إحياء التراث، ط.1، 1386هـ-1966-م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة - مصر.

• جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمحمّد بن فتوح الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة (1386هـ-1966-م)، القاهرة - مصر.

• بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس: لابن عميرة الضبي. طبع(1884م) مجريط، إسبانيا.

• سير أعلام النبلاء لمحمّد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملائه، ط.7، 1410هـ-1990-م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

• الأنساب: لأبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور السمعاني (562 هـ) دائرة المعارف بالهند، تحت مراقبة شرف الدين أحمد.

• معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (626 هـ): دار صادر بيروت.

• فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق بإشراف عبد العزيز بن باز، وترقيم محمّد فؤاد عبد الباقي، تصوير دار الكتب العلمية، 1410هـ-1989-م، عن ط. المطبعة السلفية، 1379هـ-1959-م، القاهرة - مصر.

• المحلّى لابن حزم: محمّد علي بن أحمد الأندلسي (456 هـ)، تحقيق أحمد شاكر، المكتب التجاري - بيروت.

• صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواته الأولين ورواياته وأصوله لمحمّد المنوني، منشور بمجلة دعوة الحق س.17، ع.1، 1975م، ص:79-56

• تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لأبي الوليد ابن الفرضي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية (1373هـ)، القاهرة.

• الديباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب: لابن فرحون المالكي (ت 799 هـ) تحقيق: د. الأحمدي أبو النور - دار التراث- بالقاهرة.

• اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد الشيباني الجزري، تحقيق: دار صادر(1400هـ)، بيروت.

• عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر محمّد بن أبي عثمان الحازمي، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (1393هـ)، القاهرة.

• توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين شمس الدين محمّد بن عبد الله بن محمّد القيسي الدمشقي، مؤسسة الرسالة(1993م)، بيروت.

• السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني، تحقيق : د. ضاء الله بن محمّد إدريس المباركفوري، دار العاصمة (1416هـ)، الرياض.

• المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ابن الأبار)، دار صادر (1885م)، لبنان.

• حجة الوداع للإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية(د.ت) الرياض.

• الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض للقاضي: عياض بن موسى اليحصبي السبتي، المحقق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي(1402 هـ)

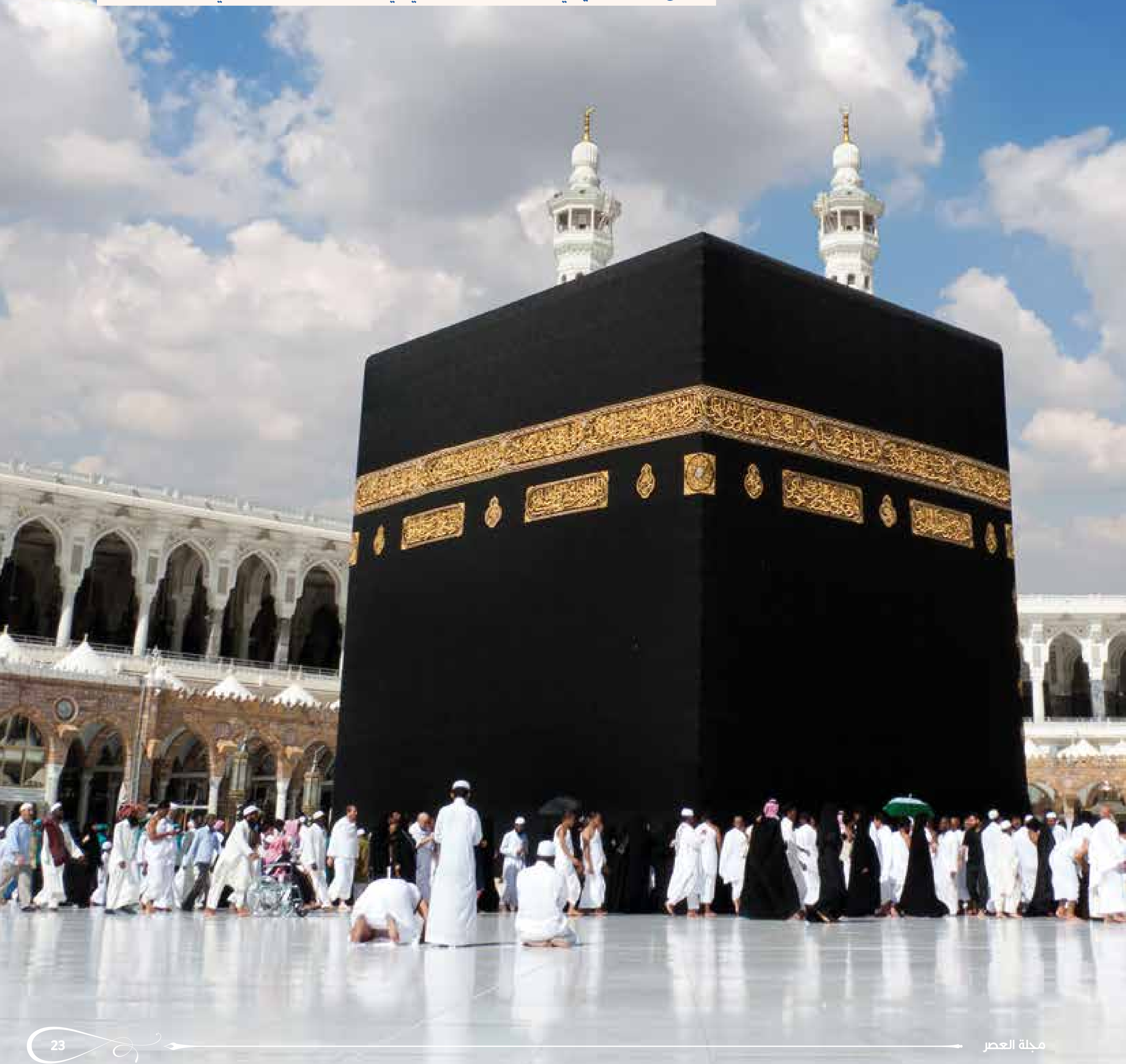
• الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع لأبي بكر أحمد بن الخطيب البغدادي، تحقيق: محمّد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة (1416هـ)

• جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان (1389هـ)، الرياض.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" تابعوا بين الحج والعمرة فإنّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكِير خَبَث الحديد والذّهب والفضة، وليس للحَجّة المبرورة ثواب إلا الجنة "

صحيح رواه الترمذي في جامعه (810) والنسائي في السنن الكبرى (3597) وفي المجتبى (2631).





قصيدة لشيخ الإسلام

ابن دقيق العيد المالكي



من أعظم مدائح الرسول ﷺ القصيدة الرائية (يا سائرا نحو الحجاز مشمرا) من نظم مجدد القرن الثامن، المبعوث على رأس المائة السابعة، الحافظ الإِمَام شيخ الإسلام القاضي تقي الدين أبي الفتح محمّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد المالكي ثم الشافعي(ت702هـ)، وهو شكل من أشكال الشعر، في وداع ركب الحجيج.

يرويها الصفدي في الوافي بالوفيات(4/142، 143) إجازة عن الحافظ ابن سيد الناس عن المؤلف لكن -كما قال- بحذف أبيات من أثنائها ومن آخرها خوف الإطالة.

وذكرها الكتبي في فوات الوفيات(3/444).

ورواها الحافظ العسقلاني في رفع الإصر عن قضاة مصر(397).

وأشار إليها ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة(8/207).

وقد وقفنا على نسخة خطية منها بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن كناش مهمل متطاير الأوراق.





نص القصيدة

الحمدُ لله مستحق الحمد، نُقِل من خطّ العلاّمة تاج الدين السبكي ما صورته: الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يمدح الجناب الشريف النبوي المحمّدي ﷺ تسليما كثيرا.

[من الكامل]

يــــــا سائرًا نحو الحجاز مُشمّرا * اجهدْ فديتُك في المســير وفي السُّرا
وتدرَّع الصبر الجميل ولا تكن * في مطلب المجد الأثيل مُقصِّرا
اقصدْ إلى حيثُ المكارمُ والنَّدى * يلقاك وجهُهما مُضيئًا مُسْفِرا
وإذا سهرتَ الليلَ في طَلَبِ العُلى * فحذار ثمّ حَذَار من خَدْع الكَرا
إن كلّت النجبُ الركائب تارةً * فأعِدْ لها ذكرَ الحبيبِ مُكرِّرا
وانعتْ لها سرّ المُدام فإنها * بالذكر لا تنفكّ حتَّى تُسْكِرا
وإذا اختفت طرق المسير وظَلَّ من * إشكالها نظرُ البصير مُحيَّرا
فالقصد حيث النورُ يشرق ساطعًا * والطَرْفُ حيثُ ترى الثرى مُتعَطِّرا
قف بالمنازل والمناهل من لدن * وادي قُبا واقصدْ حِمَى أمِّ القرى
وتوخّ آثارَ النبي وضَعْ بها * متشرِّفا خَدَّيْكَ في عَفْرِ الثَرى
وإذا رأيتَ مهابط الوحي التي * نشرت على الآفاق نورًا نوّرا
فاعلمْ بأنك ما رأيت شبيهها * مُذْ كُنتَ في ماضي الزمان ولا ترا
شوقا لأمكنةٍ تنزَّل بينها * جبريلُ عن ربِّ السماء مُخَبِّرا
فتناثرتْ عنه بأحسن بهجةٍ * أفدي الجمالَ مُوَتِّرا ومؤثِّرا
فتردّد المختار بين بعيدها * وقريبها متبديا متحضِّرا
فتنزهت بجمـــــاله وتشرَّفت * بجلاله ورأت مَقامًا أكبرا
واستُودِعت من سرِّه ما كاد أن * يبدي لنا معنى الكمال مُصوَّرا
سِرٌّ فهمنا كنهه لم يشتبه * فنشكّ فيه ولم يهن فيفسرا
الله أكبر مـــــا أعزَّ جَنابه * وأجلَّ رِفْعَتَه على كلِّ الوَرَى
ولقد أقول إذا الكواكب أشرقت * وترفّعت في منتهى شرف الذُّرا
لا تَفْخَرَنْ زهوًا فإن محمَّدًا * أعلى عُلاً منها وأشرفُ جَوهرا
أحي الإلهُ ببعثه سُنن الهُدَى * وأعاد من عهد النبوّة أَعْصُرا
وأتى به والناس في ظُلَمِ العَمى * مَوْتَى المعارفِ والقلوبِ فأنْشَرا
نلنا به ما قد رأينا من علاً * مع ما نؤمِّلُ في القيامة أن نرى
فبه الملاذُ تقدُّما وتأخُّرا * وله الجميل محقَّقًا ومُقَرَّرا
لله ما فيه من الشرف الذي * أعيا على حُسَّابه أن يُحْصَرا
بسعادة أزلية سبقت وما * هو ثابتٌ أَزَلاً فلن يتغيَّرا
وسيادة بارَى الأنامُ لها ولا * سيما إذا قدموا عَلَيْهَا المحشرا
وزهادةٍ مااستصلحتْ شيًّا من الـــدنـ * ـيا لأن ُتصْغَي عليه وتُنْظَرا
وجلالة في الخُلق حتى أنّه * أثنى عليها من بَرَاهُ وصَوَّرا
وطهارةٍ في الخَلق حتى أنه * يُبدي مع الأعراق مِسْكًا أذفرا
وتجاوز ينشي الغيوث تكرُّما * ويغادر الذنب الكبير مُحَقَّرا
ومواهب يأتي لها التّأميل مســ * ـتقصَى فيرجع عندها مُسْتَقْصِرا
ومهابةٍ ملأ القلوبَ بهاؤُها * واستنزلت كِبْرَ الملوك مصغَّرا
نَزَلت على قدم الزمان بتُبَّع * ودنتْ على بُعد المزار بقَيْصَرا
ولربما كفت القتال فلو غدت * للَّيثِ نال بها الفريسة مُخْدَرا
وبديع لطف شمائل من دونها * ماء الغَمامة والنسيم إذا سَرَى
مع سطوة لله في يوم الوغا * تَعنوا لشدة بأسها أُسْدُ الشَّرَى
متعادل الطرفين في طرف العُلَا * عَدْلاً وحاشاه بأن يَسْتَجْورا
لا تنكر المعروف من أخلاقه * فإذا استبيح حمَى الإله تنكَّرا
غضبًا لو أن البيض تدركُ كنْهَه * دانت لها رعبًا فسالت أنْهُرا
شوقي لقرب جنابه وصحابه * شوقٌ يجلّ يسيرُه أن يُذْكرا
أفنى كنوزَ الصبر من إسرافه * وجَرَى على الأحشاء منه ما جرى
إن لاح صبحٌ كان وَجْدًا مقلقًا * أو جُنَّ ليلٌ كان همًّا مُسْهرا
لا واخذ اللهُ الزمانَ فإنَّه * أَعْنَى مُرادي منه أن يتيسَّرا
أرجوا وِصالَ أحبَّتي فكأنما * أرجوا المُحَالَ وُجُودَه المُتَعَذِّرا
وأسيرُ نحو مقامِهم حتى إذا * شارفتُ رُؤيتَه رجعتُ القَهْقَرا
متلوِّنا في الحال، والمتغيِّرُ الـ * أحوال يلقى شِرْبَه متغيِّرا
يا خاتمَ الرّسل الكرامِ نِدا مَنْ * وافى إليـك مديحُه مُسْتَعْذِرا
أنا ضيفُك المدعوّ يومَ معــادنا الـ * مرجوِّ فاجعلْ من قِرَايَ الكَوْثَرا

مضرِبُ المثَلِ من شعرِ المتنبي

بقلم : د. عبد الهادي لعقاب



الحمد لله الذي جعل كلامه حكما وأحكاما، وأناط به جميل المعاني نظاما وإحكاما، وآتى الحكمة من شاء من عباده تفضلا وإنعاما، (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأميِّ المعلّم، من آتاه ربُّه جوامعَ الكلِم، فأفاض في صنوف المعاني والحِكم، وعلى آله وصحبه خيرِ البرايا والنَّسم، وبعد:

فإن كلامَ العرب بحرٌ من المعاني لا ينضب، وعين من عيون الكلام لا تغيض، يعمد البليغ المفوَّه إليه لصياغة عبارته، ويقصدها الخطيب المصقع لنسج خطبته، ويؤمها الأديب الألمعيُّ لرفع لبنات روايته، وينطوي تحت جناحها المحبُّ المُتيَّم فيشكو بثَّه وحزنَه في رسائل لتخفيف لهيب لوعتِه، فتعطي هذا ما يشاء وتهب لذاك ما يريد، في روعة ربانية، وسر إلهي، حباها به الإله القدير، خالق الألسنة واللغات : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾.

ومما خُص به أهل هذه اللغةِ البديعة، والدُّرّةِ المنيعة، أن جرت على ألسنتهم الأمثال السائرة، يولّدون مَثلا من قولِ قائلٍ حكيم، أو بيتِ شاعرٍ مفلِق، أو خَلَّة مستحسَنَة، أو خُلُق مستهْجَن، أو فعلِ فاعلٍ ترك في نفوسهم عظيم الأثر، سواء بالحسن اتّسم، أو بالقبح ارتسم، فألفت في جمع أمثالهم المصنفاتُ والمؤلفات، منذ العهد الأول للتدوين، حفاظا على هذا التراث أن يعفو، وضنًّا به أن يندثر.

ولما كان الشعر عماداً لهذه اللغة ومطيَّةً لحفظ مَتنها، وإظهارِ رونَق معانيها، اتخذه الشعراء وسيلةً لإظهار براعتهم في توليد المعاني، وضربِ الأمثال، وعَقد الحكم، في سِمطٍ منظوم، وقافيةٍ موزونة، وكان مِن أشهرهم في ذلك، من سارت بشعره الركبان، وطبّقتْ شهرتُه آفاقَ الدُّنا، وبزّ السابقين واللاحقين، ولهجتْ بذكره ألسنةُ الأدباء، ودُرست أشعارُه في نوادي الفضلاء، ووجد الدارسون في شعره لُبانتَهم، ووقفوا فيه على بُغيتهم، الألمعيّ اللوذعيّ أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي المعروف بالمتنبي (ت 354 هـ)، الذي قيل في شأن شعره: "بلغ الذّروةَ في النَّظم، وأربى على المُتقدِّمين، وَسَارَ ديوانُه في الآفاقِ"[1].

وقال عن نفسه:

وَمَـا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَـائِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

وقال أيضا:

أَبِـيتُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَـوَارِدِهَا
وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَـا وَيَخْتَصِـمُ

وقد تبوّأ شعرُ المتنبي منزلا حسنا في قلوب الأدباء والشعراء في عصره وبعد حِقْبته، سواء منهم من كان معلنا بالموافقة ومستخفٍ بالعداء ومن كان بالعداوة مشهِرا. وكان من بينهم من نقّب في ديوانه، فنخَلَه نخلا، وفتش فيه تفتيشا، فأخرج لنا عيون كلامه، ومضرب أمثاله، في أبياتٍ بجميلِ المعاني سافرة، وأَمثالٍ على ألسنة الناس سائرة، كالأديب العلامة الكاتب الوزير أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد الطالقاني (ت 385 هـ) المشهور بـ "الصّاحب"[2]، إذ ألّف رسالة لطيفة في حجمها لمخدومه فخر الدولة البويهي[3]، جمع فيها الأبيات التي تتسم بالحكمة وضرب الأمثال من ديوان المتنبي، قال في مقدمتها: "وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته وتبريزه في صناعته، له في الأمثال خصوصا مذهب سبق به أمثاله"، وقال الإمام الذهبي في شأن هذه الأمثال: "وَلَهُ عِدَّةُ أَبيَاتٍ فَائِقَة، يُضْرَبُ بِهَا المَثَلُ"[4]. غير أن الصاحب سرد الأبيات سردا ولم يعتن بشرحها ولا بذكر مضرب المثل منها.

وكان أن وفقني الله سبحانه أن وجدت مخطوطة لهاته الرسالة بخط نسخي واضح جميل، كنت شرعتُ في نسخِها منذ مدة وعكفتُ على عزو الأبيات إلى مظانها من قصائد ديوان المتنبي، مع شرحها شرحا يسيرا بإبراز مبتغى المتأدّب منها، حتى يُحسن الطالب الاستشهادَ بها، ويسوغ للمحاجج الاستدلال بها، وتصير مستأنسا من الحكم ينتصر به، وركنا شديدا من الأمثال يُبزّ بها.

ثم وقفت على هاته الرسالة مطبوعة بتحقيق محمّد حسن آل ياسين، اعتمد فيها على نسخة مخطوطة واحدة، غير النسخة التي اعتمدتها، إلا أنه لم يتعد فيها من تحقيق متنها على هنات فيه، ولم يعر اهتماما لإبراز معاني الأبيات وما يحتاجه الأديب منها.



فاستعنت بالله سبحانه في إتمام ما كنت بدأت به، ونشره للطالبين، عسى الله أن يطلق الحكمة على ألسنتنا، والسداد في أفعالنا، إنه ولي التوفيق، والجدير بالترفيق، وهو المستعان في كل الأحوال وبه الثقة سبحانه.

البيت الأول:

فَعُدْ بِهَا لَا عَدِمْتُهَا أَبَداً
خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا

من قصيدة من المنسرح قالها في صباه يمدح بها محمّد بن عبيد الله العلوي المشطَّب[5]، ومضرب المثل في عجز البيت إذ يقول: (خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا)، ومعناها: خيرُ ما يُكرِم به الكريمُ أن يجعلَ صلاته وعطاياه عائدةً مستمرة.

ويحسن ذكر هذا المثل في موقف من يريد استدرار خير، أو زيادةَ أعطية، أو تكرار زيارة أو ما يصبُّ في مصَبِّه.

البيت الثاني:

صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّماً
إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ

من قصيدة من الكامل قالها في رثاء محمّد بن إسحاق التنوخي[6]، ومضرب المثل من البيت عجزُه إذ يقول: (إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ). ومعناه: إن الرجل المتصفَ بالعظمة لأخلاقِه ومواقِفه لا يُعجزه أن يكون صابرا في الشدائد العظام التي تصيبُه. ومَورد ذكره واضح، فكما يحسن إيراده في قالب المواساة، فإنه يحسن إيراده أيضا في معرض التشجيع في طلب المعالي من الأمور.

البيت الثالث:

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَن نِّيَّةٍ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ يَزُورُ

من القصيدة نفسها، ومضرب المثل من البيت عجزُه، ومعناه: إن المحب يدفعه حبُّه لزيارةِ حبيبه وتفقدِ أحواله والسؤال عنه، فالزيارة دلالة على توافق النوايا، وتقارب الأرواح. ويحسن الاستشهاد بهذا المثل مجاملةً عند الزيارة وملاقاة الأحبة.

البيت الرابع:

فَمَوْتِي فِي الْوَغَى عَيْشِي لِأَنِّي
رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُوسِ

من قطعة من بحر الوافر قالها ارتجالا وقد دعاه صديق له يدعى أبو ضُبيس للشراب فامتنع[7]. ومعنى البيت: أن العيش الحقيقيَّ للمرء هو موتُه في ميدان الوغى والقتال، وسماه عيشا مع أنه موت لأن ذلك هو مطلبُ نفسِه، وأعلى ما يطمح في حياته، فجوهر العيش في نظره هو في تحقيق ما تشتهيه الأنفس وتطمح إليه.

ومضرب المثل من هذا أن يجرى هذا البيت، لا سيما عجزه، في معرض التشجيع وبعث الهمة في طلب المعالي إذا كانت النفوس تطمح إليها، فالعيش كل العيش في السعي إلى تحقيق ذلك.

البيت الخامس:

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ
وَالسِّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ

هذا البيت من المنسرح، من قطعة قالها في السجن بمدينة حمص حين يردّ بها على أبي دُلَف وقد أرسل إليه بهدية بعدما انتقصه وشمت به عند الوالي[8]. ومعنى البيت: ما أهون طولَ البقاء في السِّجن والقيد، فقد وطَّنتُ نفسي عليها حتى تعودتها، ومن وطّن نفسه على أمر هان عليه، فلا تضرني شماتة الشامتين.

ويليق استعمال البيت في معرض التصبّر وترويض النفس على ما تكره.

البيت السادس:

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً
لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ

من القطعة السابقة، ومعنى البيت: أنه يفتخر بدخوله السجن ولا يعدُّه منقصةً، مشبِّها نفسَه بالدرّ النفيس الذي يبقى حبيس الأصداف، ولا يضرُّه ذلك من شيء.

ويحسن استعمال هذا المثل في معرض بيان أن المرء لا يخمُل ببيئته، ولا ينقص قدره بموطن نشأته إن كان هذا الموطن مهملا لا يذكر، فقد يكون المرء في بيئةٍ خاملة مع أنه لامع في أمره، بارز في شأنه.

البيت السابع:

غَيرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ لِي
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجِيَفِ

من القطعة السابقة، ومعنى البيت: أنني قبِلتُ هديتك لي من غير اختيار، إذ لو كان لي الأمر لرددتها عليك، لأن عزّتي تأبى عليَّ أن أقبل هدية منك، كما أن الأسود لا ترضى بالجيَف مأكلا إلا حال الإحصار والجوع.

ومضرب المثل من البيت عجزُه، ويستعمل في حال الترخص والاضطرار.

البيت الثامن:

إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعُ
وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

هذا البيت من الطويل، من قصيدة مدح بها شجاعَ بنَ محمّد الطائي[9]، ومعنى البيت: أن العاقلَ يُحسن استعمال الرفق والشدة في مواضعها اللائقة، فلا يحسن الحلم حيث تستوجب الشدة كمواطن القتال مثلا، فإن الفتى يوصم بالجهل إذا استعمل الحلم في غير موضعه.

ويستعمل عجز البيت على ظاهره، إذا دعي المرء إلى استعمال الحلم والمسامحة في موضع يستوجب استعمال التشديد والعقوبة.

البيت التاسع:

يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يُحِيطُ بِفَضْلِكُمْ
أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَنفَدُ

هذا البيت من الكامل، وهو من قصيدة مدح بها شجاعا المذكور[10]، وقد صيغ هذا البيت على وجه من المبالغة واضح، كعادة الشعراء في الإطراء والمدح، فهو قد جعل ممدوحه فضائله لا تحصى، فتنفد الكلمات ولا تحيط بذكر محاسنه، ثم يتساءل مبالغا: كيف يحيط الفاني من الكلام بما لا ينفد من الفضائل.

ويستعمل هذا البيت على ظاهره، إذا أراد المرء أن يبالغ في مدح شخص، ويختصر في ذكر فضائله.

البيت العاشر:

يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ
بِجَبْهَةِ الْعَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ

البيت من البسيط، من قصيدة مدح بها عُبَيْدَ الله بنَ خلَّكان[11]، ومعنى البيت: أنه جعل بني عبيد الله كرماء يفديهم حسّادهم وهم أنذال، كما يُفدى حافرُ الفرس، وهو أخس شيء في الفرس، بأفضل ما يكون في الحمار، وهي جبهته ووجهه.

ومضرب المثل منه أن يستعمل في بيان لؤمِ شخصٍ ودناءته، مقابلَ كرم آخر ورفعتِه، فأخس ما عند الكريم يفدى بأغلى ما عند اللئيم.

أسأل الله الكريم أن يوفقنا لحسن الكلام، وصحيح الفعال، وجميل الخلال، وشريف الخصال، إنه وحده الله الكبير المتعال.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمّد وعلى آله وصحبه.

(1) سير أعلام النبلاء (16/199).
(2) سمي كذلك لصحبته للوزير الأديب الكاتب أبي الفضل ابن العميد.
(3) هو فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه، أحد من حكم بغداد في عهد العباسيين في مرحلة ضعف الخلافة العباسية.
(4) سير أعلام النبلاء (16/201).
(5) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لناصيف اليازجي (ص: 29).
(6) المصدر السابق (ص: 90).
(7) المصدر السابق (ص: 73).
(8) العرف الطيب (ص: 69).
(9) العرف الطيب (ص: 69).
(10) المصدر السابق (ص:63).
(11) المصدر السابق (ص:42).



محاورات ومباحثات في علم الكلام

الخلاف بين الشيخين ابن زكري والسنوسي



تمهيد

يعتري الأئمة في العلم ما يعرف بالمنافسة بين الأقران، وقد أشار حافظُ المغرب ابنُ عبد البرّ في "جامع بيان العلم وفضله" إلى آثار وردت في ذلك وبوّب لها (باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض).

ومن ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض؛ فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة».

ومما حفظه لنا التاريخ ما وقع بين الإمامين: محمّد بن يوسف السنوسي، ومعاصره ابن زكري رحمهما الله.

وقد عثرنا بحمد الله على جانبٍ كبير من ذلك في "حاشية العلاّمة الشيخ حسن اليوسي(ت1102هـ) على كبرى عقائد الشيخ السنوسي رحمه الله في العقائد التوحيدية" وهي مخطوطة بمكتبة أرشيف ولاية قسنطينة.

وقد أشار إلى هذه المساجلة -وأورد غالب نصوصها دون كمالها- الحافظ أبو راس المعسكري في رحلته المسماة بـ: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربّي ونعمته"، فقد بلغت مبلغا عظيما حتى قال فيها أبو راس(ص141): «سئلتُ بـ "أورين" إحدى جزر البحر عمّا جرى بين الإمامين الشيخ السنوسي والشيخ أحمد بن زكري مع كونهما شيخين شامخين راسخين».

وقد أشار إلى ذلك أيضا صاحب البستان(ص41) فقال: وقع بينه وبين الإمام السنوسي نزاعٌ ومشاحنة في عدّة مسائل، كلّ واحد يردّ على صاحبه.

وقال المستشرق جورج دلفان(ع11): وكانت بينهما منافسة علمية. وقال(ع13): السنوسي منافسه في العلم.

ومن خطّ العلامة الحرشاوي الندرومي: لما نقل الشيخ السنوسي الكلام في المقلد في تآليفه الأولى وذكر قولا بكفر المقلّد في العقائد ونسبه للجمهور، فعارضه الشيخ ابن زكري في كتابه "محصل المقاصد" المذكور وقال: هذه النسبة للجمهور نسبة التباس.

قلتُ: وتفاصيل هذه المسألة معزّزة بالنقول عن الإمامين في كتاب "الجيش والكمين لقتال من كفّر عامة المسلمين" للعلامة شقرون الوهراني(ت929هـ).

وقال ابن عسكر في ترجمة ابن زكري من دوحة الناشر(ق53/أ-خ المكتبة الوطنية:2136): وله "مكمل المقاصد" الذي لم يسبق لمثله نظمه على بحر الرجز وهو بكرا عذرا لم يقدر أحدٌ على فض خاتمه إلى الآن، ولقد حمله بعضُ الطلبة في ذلك الزمان إلى الشيخ الإمام أبي عبد الله محمّد بن يوسف السنوسي وطلب منه أن يشرحه فقال السنوسي: لا يقدر على شرح هذا إلا من ألّفه.

قال ابن عسكر: ولقد صدق رضي الله عنه لأنه يستدعي ديوان الكتب التي لا يقدر أحدٌ على جمعها في الغالب..وكان بين الشيخ ابن زكري وبين الشيخ السنوسي محاورات ومباحثات في علم الكلام، وكان الشيخ ابن زكري يعتقد أن الشيخ السنوسي من تلامذته، فقيل ذلك للسنوسي فقال: والله ما اتخذتُ عنه سوى مسألة واحدة.

قال ابنُ عسكر: وأشياخه وأشياخ ابن زكري واحد.

(1) طبع الجزء الأول من "حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي" بتقديم وتحقيق وفهرسة: د.حميد حماني اليوسي أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق بجامعة الحسن الثاني عين الشق-الدار البيضاء1429هـ/2008م، لكن لم تصل تلك النشرة إلى موضع هذا النقل الذي أوردناه، فاقتصر اعتمادُنا على المخطوطة المشار إليها.

(2) هو

(3) أي السنوسي.

(4) من شرحه على العقيدة الكبرى المسماة: "عمدة التحقيق والتسديد في شرح عقيدة التوحيد".

(5) لم يصرح باسمه، واكتفى بقوله: ...وقد أجاب عنه بعضُ المعاصرين من التلمسانيين في شرحٍ له على عقيدة ابن الحاجب فقال....إلخ.

(6) "شرح العقيدة الكبرى" (ص388) بتحقيق صاحبنا الشيخ بوكعبر بلقرد المعسكري-طبع دار كردادة-الجزائر2011م. وتمام العبارة: قلتُ ولا يخفى عليك فساد هذا الرد وما احتوى عليه من أنواع الاختلال فمنها...إلخ.



قلتُ: أي هما من الأقران.

وسنورد –للتاريخ العلمي، وحفظا للذاكرة الوطنية– فيما يلي نصّ هذا الخلاف الذي وقع بينهما–وإن كان حقُّه أن يطوى– ، بحروفه كما أورده بكل أمانة في النقل الحسن اليوسي[1]. ليقف الطالب الباحث على حقيقة ذلك.

رحم الله أئمتنا رحمة واسعة.

في الهامش:

قف على ما وقع بين الشيخ السنوسي وابن زكري، [ق205/أ] ...تنبيهات:

الأول: وجدتُ بخط الفقيه الأجل أبي عبد الله محمّد بن أحمد المصمودي[2] رحمه الله ما نصُّه: "وقع كلامٌ بين الإمامين العالميْن سيدي محمّد بن يوسف السنوسي رحمه الله تعالى وسيدي أحمد بن زكري رحمه الله عند قول الشيخ[3] في فصل الرؤية[4] في رده على الشيخ ابن زكري[5] في قوله: قلتُ: ولا يخفى عليك فساد هذا الردّ [من الاختلال]...إلخ"[6].

كتب الإمامُ ابن زكري على قوله «قلتُ: ولا يخفى» ما نصُّه:

من الاختلال ما حكم به أنه من الاختلال، ولو أنصف لجلس بين يديّ ذلك القائل حتى يبيِّن له الاختلال، نعوذ باللّه من الآفة في المقال. انتهى.

وكتب عليه الإمام سيدي محمّد السنوسي ما نصّه: الحمد لله، قد عُلم أن الدعاوى لا تثبتُ إلا بالبينات، لا بمجرد قول المدَّعِي، فالمؤلفُ[7] قد حكم بالاختلال في قولكَ، وقد ساق على ذلك البيِّنة القطعية التي لا يمكن دفعُها، وأنتَ حكمتَ على قوله بالاختلال بغير بيِّنة سوى ما أتيتَ به من الاختلال في الطرّة الآتية، فزدتَ بها اختلالاً إلى اختلال.

وأما قولك (لو أنصف.. إلخ) فهو مما لا يَرضى بمقالته إلا سخيفُ العقل، إذ الفضل إنما يعرفه للإنسانِ [ق205/ب] ويقرره له غيرُه، إذْ الفضلاءِ برآء من مدح أنفسهم وتزكيتها، لا سيما بمثل الهَوَس الذي أنتَ فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله انتهى.

ووقع بينهما كلامٌ في قوله بعد (والجمع العام)[8] قال سيدي أحمد[9]: قف على هذا التهاتر[10] فقد قدَّم أنّ الجمع مستغرق، فلم يفهم مدارك القوم فأخذ بالتخليط؛ والبحث إنما سنده ما قرّره الآن لو عقل على بصيرة، فهو الجدير بأن يكون صبيا. عرّفنا اللهُ عيوبَنا، ووقانا من كل عيبٍ بمنه وكرمه.

والإلزام نشأ عن عكس الفطرة، فالتبستْ عليه الشخصية والجزئية فخلط عليه الأمر، ولا يشك عاقلٌ في صدق (لا رجال) على ثلاثة فأكثر، فإن لم تدل على نفي الواحد لم تناقض ما فرض، وإذ لا تناقض بين جزئيتين، والتعيين غير لازم إلا في[11] المشخصات نعوذ باللّه من التخليط انتهى.

قال الشيخ السنوسي رحمه اللّه مجيبا لهذه الطرة ما نصُّه:

لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، عجبًا لهذا المعترض في الطرة المكتوب هذا فوقها، جاء ينتصر[12] بشيء لا يتفوه به من له أدنى مشاركة في المعقول، ولم أكن قط أظن أنّ هذا يصدر من مثله؛ فأقول مخاطبا له: كيف زعمتَ التهاتر في هذه المقالة، وأنها منافية لما قدَّم المؤلفُ من استغراق الجمع، وهل هذا الردّ إلاّ فهمٌ ركيك لا يفوه به إلا من لا عَقْلَ له، وكيف صحّ أن تبقى على عمايتك الأُولى التي تضمنها الردّ في الأصل مع غاية البيان الذي في الأصل، والمصنّف قد بيّن البيان الشافي الذي يفهمه أصاغرُ الصبيان.

إنّ دعواك سلب العموم في الجمع المنكر المنفي باطلة على كلِّ تقدير، أعني سواء بنينا على رأي السكاكي في خروج الواحد والمثنى منه، أو على رأي غيره في عدم خروجهما.

وإن اللفظ من باب القضية الكلية السالبة، لا الجزئية السالبة على كلا التقديرين.

وقد زعمتَ أنتَ بفهمك الركيك أن القضية على رأي السكاكي جزئية سالبة، لا كلية سالبة، فرُدَّ عليك هذا الفهمُ الركيد نقلا وعقلا.

أما النقل فبأنه لم ينقله أحدٌ غيرُك.

وأما عقلا، وإن كان مستنبطا من النقل، فملزوم أن تصدق هذه القضية بموضع لا يقول أحدٌ بصدقها فيه، فيلزم أن يَصْدُقَ قولُنا (لا رجال في الدار) إذا كان فيها رجال الدنيا كلّهم، إذا غاب رجلٌ واحدٌ منهم، لأنها جزئية سالبة على زعمك، فهي في قوة قولنا (بعضُ الرجال ليس بالدار) ولا شك أن القضية صادقة في هذا الموضع الذي ذكرنا، فيلزم أنّ ما يساويه على زعمك كذلك.

واستدلالُنا على صدق الجزئية في ذلك الموضع بفرض موضوعها معينا ليكون أخصّ، وصدق الأخص يستلزم الأعم، لا ينافي جزئيتها ولا ينقلها إلى الشخصية، بل هو من باب الاستدلال بصدق الشخصية على صدق الجزئية، لأنها أعمّ منها.

وبرهان الافتراض في القضايا الجزئية في العكوسات والأقيسة مشهور/ [ق306/أ] في فن المنطق عند كل من ذاق شيئا منه.

وقولك (ولا يشك عاقلٌ في صدق لا رجال على ثلاثة فأكثر)، تهاترٌ منك، لأن دعواك جزئية هذه القضية لا تمنع نفسها الجموع كلّها، الثلاث فما فوقها بل يقتضي أنها إنما تنفي بعض الجموع لا بعينه، والآن صرَّحتَ على سبيل التأكيد أن القضية تنفي الجموع كلّها الثلاثة فما فوقها، فهذا هو التهاتر الذي أنت تفوه به/ولم تشعر[13].

وقولك (فإن لم تدل على نفي الواحد لم تناقض ما فرض إذ لا تناقض بين الجزئيتين) عجبًا لك، ما هذا الذي تفوه به أفي غيبَةٍ أنتَ من عقلك فتُعْذَر أم لا؟

قد صرَّحتَ الآن بأن (لا رجال) تنفي الثلاثة فما فوقها، وذلك الذي ينفي صدقه في الفرض الذي ذكرنا ضرورة، لأنا فرضنا فيه أن جموع الدنيا كلها من الثلاثة إلى إلى منتهى الوجود فيها موجودة في الدار سوى رجل واحد، والآن صرّحتَ بصحة صدق القضية في الفرض الذي ذكرنا بناء على رأي السّكاكي، وهذا تهاترٌ آخر منك وسوء فهم لا يرضى به عاقل.

وقولك (إذ لا تناقض بين جزئيتين) هذا أمرٌ معلومٌ لصبيان المكاتب، لكن زعمك أن لا رجال قضية جزئية بناءً على رأي السّكاكي زعمٌ فاسدٌ نقلاً وعقلاً. فأي شيء ينفعُكَ التستُّر بمبادئ المنطق، عند من أتعب نفسه زمانا طويلا في مقاصده؟

وقولك (والتعيين غير لازم إلاّ في الشخصيات) هو وإن لم يكن لازما فلا يمتنع التعيين عند قصور الاستدلال على الصدق ونحوه، لما تقرر في برهان الافتراض.

وقولك: (نعوذ باللّه من التخليط) نعم لكن من تخليطك، وعظيم هَوَسِكَ انتهى.

خاتمة

قال صاحبُ دوحة الناشر: لما توفي الشيخ السنوسي على رأس القرن التاسع، رثاه ابن زكري بقصائد على ما كان بينهما.

.. وبالجملة فعلماء تلمسان يذكرون الشيخ السنوسي ويعظمونه بالتحقيق والولاية والزهد في الدنيا. ويعظمون الشيخ ابن زكري بتبحره في العلوم واتساعه في الرواية وعلو طبقته في المنقول والمعقول ويقولون هو علامة الوقت، وأهل المغرب الأقصى يفضلون السنوسي من جهة التحقيق والانقطاع إلى الله تعالى وابن زكري كان له الصيت البعيد والجاه العظيم عند الملوك وغيرهم رحمهما الله.

(7) يقصد نفسَه.
(8) شرح العقيدة الكبرى (ص389).
(9) أي ابن زكري.
(10) قوله (تهاتر إلخ) قال في "مختار الصحاح" : وتهاتر الرجلان إذا ادعى كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه باطلاً.
(11) في الأصل: إلا فإن.
(12) في هامش النسخة إشارة إلى نسخة جاء فيها: يتنظر.
(13) إلى هنا توقف نقل أبي راس المعسكري.



شروط الاعتماد الخاصة بالكتب الإسلامية

بقلم : العلاّمة محمّد ابن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي | المتوفى سنة 909هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وآله..

يقول عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني لطف الله به:

..ليس العلم بكثرة الكُتُب ولا بقراءتها.
وحفظُها من صَنْعة الأطفال.
ليس كلُّ من له كتب يقرؤها وليس كلُّ من حفظها يفهمها.

العلمُ نورٌ وكلُّ الناس يطلبُــه
وهل يرى النورَ منهم غير ذي بـصـر

الـرأس رأسان: ذو عين وذو كمـه
والقلب قلبان ذو صفــو وذو كدر

لكن للعلم شأنا شأن جاهـله
بين البريئة في بـدو وفي حضر

حـتى تقرب للأوهـام وانبعثت
له النفوس انبعـاثا غير مصطبر

وصار ذو الجهل ينفي الجهل عنه كما
ينفيه ثـورٌ عصى خـوفا بلا ضرر

فالعلمُ نورٌ يقذفهُ الله في قلب الشخص حتى يرى الحق حقا، والباطل باطلا.
ولذلك قال مالكٌ: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نورٌ يضعه الله في قلب من يشاء، ألم تر إلى قوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[النحل، آية:43]و[الأنبياء، آية:7]**، ولم يقل انظروا الكتاب إن كنتم لا تعلمون، لأنه لا يجوز الاعتماد في دين الله على شيء من الكتب إلا بشروط:

الأول: أن ينسب ذلك الكتاب لمصنفٍ عُلِمَ اسمُه وثبتتْ أمامته في العلم والتقوى، بحيث يجوز تقليده والاعتماد عليه فيما يذكره.
فكل كتاب لم يذكر له مصنِّف، أو ذكر له مصنف لم تثبت إمامتُه، لا يجوز الاعتمادُ عليه في شيءٍ مما ذَكَرَه، وإن كان فيه شيءٌ كثير من الكلام الطيِّب المعروف، ومن الآيات والأحاديث ومن الأدلة الواضحة، لأن كثيرا من أهل الضلال يصنف الكتاب لضلاله ويزينه ويُعمِّي ضلالَه بذكرٍ كثير من الحق والآيات والأحاديث والبراهين، ويدسُّ في طيِّ ذلك مرادَه ليُضل عن سبيل الله.

ألم تر إلى قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾**[البقرة، آية:79]**، فكما كان ذلك في بني إسرائيل يكون مثله في هذه الأمة لقوله ﷺ: {لتتبعن سنَن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟
قال: فمن؟}
وقد كان من ذلك كثير لا سيما في القرن التاسع وأطراف الأرض.



الثاني: أن يثبت أن ذلك الكتاب للإمام الذي نسب إليه، وأن تلك المسألة منه بلا زيادة ولا نقص، وإلا كان كالكتاب الذي لا يُعْرف مَن صنّفه، فلا يجوز الاعتمادُ عليه لأن من أهل الضلال من يصنّف كتابا في ضلاله وينسبه لبعض أئمة الهدى ليزيِّنه للناس بتلك النسبة.

ولأن من المسائل ما يقع في بعض الكتب وليس من الأصل أو فيه زيادة أو نقص مِن سهوِ ناسخٍ أو غيره، وذلك كثير يظهر بالمشاهدة في المقابلة.

والأصلُ في إثبات الكُتُب ومسائلها الرواية بنقل العدل عن العدل لفظ الكتاب إلى مصنِّفه، فإن تعذرتْ الرواية في الأمهات المشهورة في الفقه أو نحوه –بحيث لا يمكن ثبوت صحة مسائلها بالرواية– جاز الاعتمادُ عليها بالمقابلة على الأصول الصحيحة القديمة المختلفة الخطوط والأقطار، حتى يغلب على الظن صحة ما فيها.

وأما غير الأمهات المشهورة المعتمدة فلا يثبت إلا برواية العدل عن العدل إلى مصنفه أو إلى عالم تقي، أو خبر بصحته وإذْنٍ في الاعتماد عليه.

ولأجل ذلك قال سحنون: من اشترى كتبَ الفقه ثم أفتى بها ولم يعرضها على الفقهاء أُدِّب أَدَبًا شديدًا.

والثالث: أن يكون الذي نظر في ذلك الكتاب وزعم أنه فهم معناه، قد تفكر فيه بطريق النظر الصحيح حتى استقر نظرُه على ما فهمه، لأن الفكرة سراج القلب، فإذا عُدمت فلا إضاءة.

ولأن النظر ليس بمصيب كيفما كان، وإنما النظر المصيب هو النظر الصحيح، والنظر الصحيح ترتيب معلومين فصاعدا على جهةٍ يُتوصل بها إلى المطلوب. وتلك الجهة إنما هي إدخال الداخل وإخراج الخارج، لأن الخطأ كله إنما يكون بإدخال ما ليس بداخل أو بإخراج ما ليس بخارج.

وأهم ما تتوقف عليه معرفةُ ذلك، معرفة معاني الكلمات، ومعرفة كيفية الحكم ببعضها على بعض بنفي أو إثبات.

وإنما تعرف معاني الألفاظ بمعرفة الوضع إن كانت ألفاظًا لغوية، أو بمعرفة الاصطلاح إن كانت ألفاظا اصطلاحية.

وإنما تَعرف كيفية الحكم ببعضها على بعض بمعرفة النسب الأربع، والأحكام الأربعة، ومقتضى النسب من الأحكام، ومقتضى الأحكام من النسب.

فلا بد للناظر في كل كلام ليفهم منه حكما من الأحكام، أن يكون عارفا بعلم اللغة وعلم المنطق، لأن باللغة يَتوصل إلى معرفة معاني الكلمات، وبالمنطق يتوصل إلى معرفة كيفية الحكم ببعضها على بعض بنفي أو إثبات.

فمَن لا معرفة له باللغة، أو لا معرفة له بالمنطق، لا يوثق بفهمه أصلا.

ولذلك قال الإمام الغزالي في مقدمة كتابه المسمَّى بالمستصفى: المنطق مقدمة لجميع العلوم، من لم يحط به علما لا ثقة له بفهمه أصلاً.

ومثله ما بلغني عن بعض العلماء من أنه سئل عن علم المنطق، فأجاب بأنه لا يحل لمن لا معرفة له بالمنطق أن يفتي بين المسلمين، وذلك واضحٌ لا شك فيه.

لأنه كما قال الإمام الغزالي لا يوثق بفهمه، فلا يحل له أن يفتي ولا أن يحكم.

ولا يجوز لأحد أن يقلده في حكم، ولا فتوى لأن ذلك لا يصح إلا بالفهم.

ولا يصح الفهم إلا بالنظر ولا يصح النظر إلا بترتيب معلومين فصاعدا على جهة يتوصل بها إلى المطلوب.

وتلك الجهة كما قدمنا لا بد في معرفتها من علم المنطق، فمن لا يعرف المنطق يخبط في فهمه خبط العشواء في الليلة الظلماء.

الرابع: أن يكون الذي نظر في ذلك الكتاب وزعم أنه فهم معناه من أهل الفهم في ذلك العلم، بأن يكون له فيه ملكة يملك بها التصرف في جهة قصده، لأن من لا ملكة له في علم الفقه مثلا، الغالبُ عليه في طلب الفهم من كُتُبِه أن يخطئ بسبب أصولٍ أو قيودٍ تخفى عنه.

ولا يكفيه في ذلك الشرَّاح لاسيما في الحكم والفتوى، لأن الشرح بنفسه كتاب، **وكلُّ كتاب يحتاج لملكة في فهمه.**

ولو كانت الكُتُب وشرّاحُها كافية في التفقه لما كان الناس يقرؤون على الأشياخ، ويرتحلون إليهم قديما وحديثًا، في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن الدليل الواضح أيضا على أن الشرح لا يُغني عن الشيخ، أمرُ المدونة مثلاً، لم يزل العلماء يشرحونها، واللاحق يأتي بما لم يأت به السابق من الإيضاح.

فلو كان الأول كافيا لأهل كلّ مصر في كل عصر لكان الثاني عبثا.

فمن ليس بعالم ولا فَهَّمهُ عالمٌ، خطؤُه في فهم الكتب أكثر من صوابه، لا سيما في الحكم والفتوى.

ولذلك قال في النوادر: لا يؤخذ العلمُ من كتُبي ولا القرآنُ من مصحفي.

قال: وإن كانت الكتب في آخر الزمان خزائن العلوم، فإن مفاتيح مغالِقِها في الصدور.

قال: وقد تمثل بعضُهم في حمل الكتب بلا تفقه فقال:

زوامـلُ للأسفار لا عـلم عندهم بجيِّـــــــدها إلا كعلم الأبــاعر

لعمرك مــا يدري الموطا إذ غدا بأحمــالها أو راح ما في الغرائر

لا يقال: بعضُ الكتب يغني عن الشيخ لوضوحه. ولذلك قال ابن رشد في أول البيان والتحصيل: من جمع كتابي المسمَّى بالمقدمات إلى هذا الكتاب حصل على معرفة ما لا يسع جهلُه من أصول الديانات وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه، وأخذه من بابه وسبيله، وأحكم ردّ الفرع إلى أصله، واستغنى بمعرفة ذلك كلِّه عن الشيوخ في المشكلات وحصل في درجة من يجب تقليدُه في النوازل المعضلات، وحصل في زمرة العلماء الذين أثنى اللهُ عليهم في غير ما آية من كتابه، ووعدهم فيه برفع الدرجات.

لأنا نقول هذا من عدم فهمكم كلام الكتب.

ليس مرادُه بجمع الكتابيْن المذكورين جمعُهما حسًّا بمُلْكٍ أو حفظ، إنما مراده جمعهما معنًى بالفهم لجميع ما فيهما. ألم تر إلى قوله (واستغنى بمعرفة ذلك كله عن الأشياخ في المشكلات)، فالاستغناء عن الأشياخ إنما ذكره بعد معرفة ذلك كله، لا في معرفة ذلك كله.

ولذلك قال في أول المقدمات: كان العلم أولا في صدور الرجال، ثم صار في جلود الضأن، وعليه أقفالٌ لا يفتحها إلا العلماء.

الخامس: أن لا يظهر معارضٌ عقلي ولا نقلي يشكك في صحة ذلك المفهوم، وإلا وجب التوقف عن الاعتماد عليه لاحتمال أن يكون باطلا لخطأ في المتن، أو في فهمه.

لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام النبي ص، ولذلك قال الله تعالى في القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**[النساء، آية:82]**.

فلا يحل الاعتماد على شيء من نصوص الكتب في شيء من دين الله إلا بعد توفر هذه الشروط الخمسة.

فإن عُدم شرطٌ واحدٌ منها لم يجز الاعتماد، خوفًا من الكلام في دين الله بغير علم والعمل بما لا يعلم هل هو حقّ أو باطل.

وبسبب عدم التوقف في هذا العصر على الشروط المذكورة، كَثُر الخطأ في الفتاوى والأحكام، **إنا للّه وإنا إليه راجعون.**

[انتهى ما أردنا إفراده من الغرض نقلا عن: الأعمال الكاملة للشيخ محمّد عبد الكريم المغيلي، الصادر بدعم من وزارة الثقافة عن مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، بمناسبة خمسينية الاستقلال (6/ص54 وما بعدها)].



قَصيدةٌ مَولوديَّة في مَدح خَير البَريَّة

للشَّيخ العلَّامة عبد الحليم ابن سماية الجزائري (توفي سنة 1933م)

إعداد : عبد الرَّحمن دويب (باحث في التُّراث الجزائري)

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رَسول الله، وبعد:

فقد: «جَرت عادةُ أهل بِلادنا الجزائر، حرسَها الله مِن الفِتَن وحاطَها مِن الدَّوائر، أنَّه إذا دخَل شهرُ رَبيع الأوَّل، انبَرى مِن أُدبائها وشُعرائها مَن إليه الإشارة وعليه المعوَّل، إلى نظمِ القصائد المديحيَّات، والموشَّحات النَّبويَّات، ويلحِّنونَها على طَريقِ الموسيقى بِالألحان المعجِبة، ويقرؤُونَها بالأَصواتِ المُطربة، ويَصدَعون بها في المحافِل العَظيمة، والمجامع المحفُوفة بِالفُضلاء والرُّؤساء والنَّظيمة، مِن المساجِد والمكاتب والمَزارات، وهم في أكمل زينة وأَجملِ زيٍّ وأَحسَنِ شارات، تَعظيما لهذا الموسِم الذي شرُف به الإِسلام، واحتِفالا بِمولدِه (عليه الصَّلاة والسَّلام)» [1].

وقد أَطلَعَنا الأَديبُ ابن عمار في (رحلته) على نماذج كثيرة مِن هذه القصائد، وفي هذه الأَيام وقَفنا على مجموعة مِن المخطوطات تَتضمَّن قصائد مِن هذا النَّوع لم تُنشر مِن قَبل، نظَمها نخبةٌ مِن العلماءِ والأُدباءِ الجزائريِّين، ومن جملة هذه الدُّرر نُسخة نَفيسة [2] تحتَوي على قَصيدة مِن عُيون القصائد التي تَجري على هذا المنوال، وتحكي هذا المقصد النَّبيل بما هو أَطيَبُ للنَّفسِ مِن الماءِ الزُّلال، عقدَ دُررها المنثورة، ونسجَ حلَّتها المستُورة، نادرة الجزائر، وعلَّامة رَيحانة القاطِن وسلوانة الزَّائر، الملحوظ بعَين العناية، والمحفوظ ذِكره على الأَلسِنة دِرايةً وروايةً، الشَّيخ عبد الحليم بن علي ابن سماية [3] الذي كان يجيد هذا الفنَّ مِن النَّظم.

قال عنه تلميذُه الشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي: «وللشَّيخ مَقدِرة عظيمة على الترسُّل ونظم الشِّعر ... فهو يكتبُ على أُسلوب البلغاءِ مِن الرَّعيل الأوَّل بِلا تكلُّفٍ ولا تعسُّف ... وله تخصُّصٌ في الشِّعر بِنظم الموشَّحات على أُسلوبِ ما نظمَه أُدباءُ الجزائر وعلماؤها من موشَّحاتهم المولديَّة الشَّهيرة الموزونة على مُقتضى الأنغام والأَلحان والطبوع الموسيقيَّة الأَندلسيَّة التي أشار إليها الشَّيخ أحمد بن عمار فيَ (رحلته)» [4]، ثمَّ ساق الوصلةَ الأُولى مِن هذه القَصيدة التي نقدِّمها اليوم للقرَّاء.

هذا، وإنَّ رغبتنا في نشر هذه القصيدة اقتصَرت على إيرادها خالية عن أيِّ تعليق قد يشوِّه بهجتَها، مع الإشارة فقط إلى أنه وابتداءً مِن الوَصلة (17) وجَريًا على نمطِ البديعيات ضمَّن الشَّيخ ابن سماية (مولديَّته) عَددا مِن أَلقاب أَنواع البديع، تُراجع تعريفاتُها في كتبِ البلاغة والبديع.



وصلَّى الله وسلَّم على مَن تتعطَّر المجالسُ بِذِكره، وتشرفُ النُّفوسُ بمَدحه، وبَلَّ تعالى بِصَيِّب الرَّحمة تُراب ناظمِها وأَسكنَه جِوارَه، وأَحيا في قلوبِ الخلقِ ذكره وأكرمَ مثواه.

صَبرا فلا تحسَبوا بالقَبر مَدفنهُ
بل جِسمُه في قلُوبِ الخلقِ مُضطجعُ [5]

(1) نحلة اللبيب بأخبار الرِّحلة إلى الحبيب (ص: 15 ـ 16)، مطبعة فونتانة (الجزائر)، سنة 1320هـ/1902م.

(2) اعتَمدنا في نشر هذه القصيدة على نسخة خطية، وتقَع في خمس لوحات، وخطُّها جزائري جميل.

(3) هو الشَّيخ العلَّامة الأَديب عبد الحليم بن علي بن عبد الرَّحمن بن حسين خوجة ابن سماية الجزائري، تنتمي أسرته إلى آل سماية، وهي أسرة تركية عريقة بمدينة الجزائر، يعتبر مِن أوائل المصلِحين الجزائريِّين المعتنِقين لمذهبِ الأُستاذ الإِمام محمَّد عبدُه (ت: 1905م)، ولد بالجزائر العاصمة سنة 1283هـ/1866م، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ حسين أبي شاشية، وأخذَ اللغة العربية والفقه والتَّوحيد عن والده، والمَنطق والبلاغة عن الشيخ الطاهر تيطوس، والحسابِ والفَرائض عن صهره علي بن حمودة، كان له إلمام باللغة الفرنسية ومعرفة باللغة العبرية، وكثيرا ما كان يجادل أصحابها في دينهم ويناظِر أَحبارَهم ورُهبانَهم ويَسوقُ لهم الأَدِلَّة والنُّصوصَ مِن كتُبِهم، تولَّى خطَّة التَّدريس بالجزائر العاصمة سنة 1896م، ثمَّ بالجامع الجديد سنة 1900م، واشتهر أُستاذا بارزا بالمدرسة الثَّعالبية حيث تخرَّج على يده جيلٌ مِن المثقَّفين، توفي بمدينة الجزائر سنة 1933م، بعدما أُصيب بمرضٍ عَقلي لشدَّةِ وَيلات الاستعمار واضطهادِه إِياه، مِن آثاره: اهتزاز الأطواد والرُّبى من مسألة تحليل الرِّبا، رسالة طبعت سنة 1911م، ورسالة في التَّوحيد والردِّ على شُبه المبطِلين والمِلحدين، ورسالة في التصوُّف بعنوان: الكنز المدفون والسِّر المكنون، وكتاب فلسفة الإِسلام، وله عدَّة مقالات كتبها في الصحافة العربية، كما أن له عدَّة قصائد، انظر ترجمته في: تاريخ الجزائر العام (4/400 ـ 420) للشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي، ونهضة الجزائر الحديثة (1/106) للشَّيخ محمَّد علي دبوز، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 178 ـ 179) للأستاذ عادل نويهض، وجريدة النَّجاح: الأَعداد: 1406، 1407، 1412، ومجلَّة التِّلميذ: العدد: 3 ـ 4، رمضان/شوال 1351هـ/جانفي/فيفري 1933م، ص: 10 ـ 17.

(4) تاريخ الجزائر العام (4/412)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط/7، سنة 1994م.

(5) بيتٌ مِن قصيدة للشَّيخ علي اليحياوي (إمام جامع باريس) في رثاء الشيخ ابن سماية، انظر: جريدة النجاح، العدد: 1412، الأربعاء 13 شوال 1351هـ/8 فيفري 1933م.



بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم

وصلَّى اللّه على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبِه وسلَّم

يا رَوحَ سارٍ تَعطَّر ❊ مِن نَشرِ أَهلِ الخِيامِ
باللّه سِر تَتَخطَّر ❊ واحمِل إِلَيهِم سَلامي
بلِّغ إِلى أَهلِ طَيبهْ ❊ مِنِّي عظيمَ التَّحيَّهْ
قِف وَقفَةً مُستطيبهْ ❊ عِندَ كريمِ السَّجيَّهْ
وانشَق هُنالِك طِيبَهْ ❊ مِن رَوضَةٍ عبقَريَّهْ
أَنتَ رَسولي المظفَّر ❊ مَهما عَلاني هِيامي
إِذ صدَّني الذَّنبُ الاكبر ❊ عَن مَحضَري في المُقام
ذاك المقامُ السَّعيدُ ❊ تُربُ ثَراه شِفاءُ
له مَزارٌ بعيدٌ ❊ شطَّ وطاشَ الفضاءُ
مَن جلَّه فَسعيدٌ ❊ قَد نالَه الاِعتناءُ
الاَرضُ منه كعَنبَر ❊ لِناشِقٍ ذي اشتمامِ
قَدرُه في القلبِ أَكبَر ❊ مِنَ الرَّواسي العِظامِ
يا ليتَ شِعري وماذا ❊ ينفعُ قلبي التَّمنِّي
أَحدو العِتاقَ اللّواذا ❊ وهَل أَراه بِعَيني
أُمسِكُ فيه ماذا ❊ بِكلتَي القَبضَتَينِ
أَرفَعُ صَوتي وأَجهَر ❊ يا نُورَ عَينِ الأَنامِ
اِلحظ فُؤَادي بِمنظَر ❊ يُذهِبُ غَينَ غِيامي
مِن بعدِ فَرضٍ يُؤَدَّى ❊ في بيتِ ربِّي العَتيقِ
ومَسِّ الاَسعَدِ عَهدًا ❊ يَشهَدُ بينَ الرَّفيقِ
اشتَدُّ في السَّعي شَدًّا ❊ في صِحَّةٍ مَعْ رَفيقِ
أَصعدُ طوداً تدثَّر ❊ بِالعِزِّ والاِحترامِ
فيه رِضى الله فجَّر ❊ غَيثَ المُنَى والمرامِ
أَكرِم بِتلكَ البِقاع ❊ تَشرُقُ أَعلَى السَّماءِ
شرَّفَها بِالمساعي ❊ خاتِمةُ الأَنبِياءِ
مِن قَبلُ كانت تُراعي ❊ إِتيانَها بِالسَّناءِ
وحيُ الإِله المنوَّر ❊ مِن نُور وَصفِ الكلامِ
اللهُ دلَّ وأَظهر ❊ منه الذي في انبِهام
تاللّه ما كلُّ خَيرٍ ❊ في ذا الملاَ مِن سِواهُ
وما سَما كلُّ قُطرٍ ❊ إِلَّا بِما قَد حَواهُ
للمومن ينَ وكُفرٍ ❊ كلٌّ على ما طَواهُ
هذا اهتَدى بِي وتشكَّر ❊ هذا احتَدى وهْوَ عامي
ظنَّ الشُّموسَ تُستَر ❊ في المطلَع المُتسامي
جاءَ النبيّونَ قَبلاً ❊ منه بِما مُنِحوهُ
واعتَرفوا لهُ فَضلاً ❊ ياتي وقد لَمحوهُ
بحرُه يَنهلُّ هلّا ❊ ما إِن هُم سابِحوه
حتَّى أَتى البدرُ الاَزهر ❊ في حِين حَيْنِ التَّمام
يَشملُ كلَّ المسطَّر ❊ في اللَّوح شَملَ انجِمامِ
واللهُ عزَّ وجلَّا ❊ أَنطَقَ عنهُ الدَّلائل
إِعجازُه قد تعلَّى ❊ تَدريه صُمُّ الجنادِل
إِلَّا الذي قَد تولَّى ❊ مِن كلِّ غُمرٍ وجاهِل
كَم ذا الذي منه يُذكَر ❊ في مَولدٍ أَو فِطامِ
فَضلًا على ما يُسطَّر ❊ مرَّ المَدى والدَّوام
اِرتجَّ إِيوانُ كِسرى ❊ يُؤذِنُه بِانتِزاعِهْ
والنَّهرُ كفَّ المَمرَّا ❊ لأَنَّه طَوعُ باعِهْ
والنَّارُ لم تُورِ جَمرا ❊ مُطفأَةً بِشُعاعِهْ
والجوُّ ماجَ وأَمطَر ❊ بِالشُّهبِ جنًّا تُسامي
وهْوَ بِذا الفِعل أَنذَر ❊ أَهلَ الشَّقا بِانتِقام
نُكِّسَ رأسُ الهياكِل ❊ كَي يُشعَروا ذُلَّ كُفرِ
وشاعَ بينَ القبائل ❊ أَخبارُ أَصحابِ سِحرِ
ورنَّمت في المنازِل ❊ جِنٌّ بِأَفصح شِعرِ

جاءَ النَّبيُّ المطهَّر ❊ كاشِفُ جُنحِ الظَّلامِ
يا غافِلاً فتطهَّر ❊ واقْفُ سَبيلَ الكِرامِ
هذا النَّبيُّ الشَّفيعُ ❊ صِفوةُ خلقِ الإِلهِ
مَطلعُهُ ذا الرَّفيعُ ❊ بِالحسنِ كان يُضاهي
أَقبَلَ فيه الرَّبيعُ ❊ والكَونُ زاهٍ وباهِ
الحُسنُ لِلحسنِ يَنجَر ❊ والوقتُ شكلُ الإِمامِ
قَد كُلِّلَ الزَّهرُ بِالدُّرّ ❊ ذي النَّثرِ والاِنتِظامِ
مِثلَ السَّماءِ تجلَّت ❊ بِالزَّهرِ وَجهَ عَروسِ
أَنجُمُها قَد تدلَّت ❊ في ضَوئها كالشُّموسِ
هاذي وَقايِعُ جَلَّت ❊ تعظُمُ عندَ النُّفوس
الكَونُ صاحَ وبشَّر ❊ من نُور وَصفِ الكلامِ
دلَّ بِأَبهَج منظر ❊ أَن جاءَ تاجُ العِظامِ
ذو القَدرِ والعِلمِ الأَكمَل ❊ كَنزُ الإِله المُطَلسَم
عَينُ الكمال المكمَّل ❊ مَن بِه ربِّي أَقسَم
حَيطةُ الأَكوان الاَشمَل ❊ الفَضلُ فيه تبسَّم
محمَّدٌ قايِدُ الغُرّ ❊ حُلُّوا بِأَبهى وِسامِ
مَن اسمُه يتكرَّر ❊ مَعْ ربِّه بِانضِمامِ
وعنه موسى الكليمُ ❊ أَرضى وبشَّرَ قَومَه
والرُّوحُ عيسى العظيمُ ❊ قَد قامَ أَيضًا بِقَومهُ(6)
كِلاهُما مُستَديمُ ❊ عَهدًا يؤَكِّدُ جَزمَهْ
إِذا أَتى البَدرُ الاَقمَر ❊ أَحمَدُ ذاكَ التِّهامي
وراكِبُ العَيرَ الاَحمَر ❊ فصدَّقُوا بِاهتمامِ
لكم علَيه علائِم ❊ تمَّت على كلِّ وَجهِ
حتَّى القَفا فيه خاتِم ❊ كَي تُغَرُّوا بِشبِهِ
شَهمٌ وقلبُه راحم ❊ يُجلي الحياءَ بِوَجهِ
لمَّا تجلَّى وأَزهَر ❊ بِه العُلى مِن أَمامِ
ولبَّى الكثيرُ وأَدبَر ❊ والنَّكثُ طَبعُ اللِّئامِ
تَبًّا لمن عَرفوه ❊ عُرفَ ابنِهِم ثمَّ وَلَّوا
تَنزيلَهم حرَّفوه ❊ تَعميَّة وتَعَلَّوا
بِالضِّدِّ قَد وَصَفوه ❊ والحربَ لله أَبدَوا

[براعة الإِستهلال ـ الجِناس التام ـ الجِناس المصحَّف]

اللهُ أَعلَى وأَكبَر ❊ قَد قدَّهم بِحُسامِ
سَل عنهمُ يَومَ خَيبَر ❊ سَل كلَّ مَغنًى بِشامِ
لما استهلَّ بَراعَهْ ❊ هذا النبيُّ البديعُ
تَمَّ جِناسُ البَراعَهْ ❊ في فَضلِه مُستطيعُ
دانَت وذابَت جَماعَهْ ❊ قَد صحَّفوا فأُضيعوا

[الجناس المركَّب ـ الجِناس المطلَق ـ جِناس القلب ـ الجِناس الملفَّق ـ الإِستخدام]

سِر بي لِسِربي المُطهَّر ❊ رُكَّابِ أَعلَى سَنامِ
سَنا سِنانِهم احمرّ ❊ مُطلَقه في القَتامِ
الكَربُ رَكبٌ لهم في ❊ قلبِ حليفِ اصطبارِ
قَد لفَّقوا كلَّ صِنفِ ❊ قَد لفَّ قُوتَ نَهارِ
واستَخدَموا كلَّ حَرفِ ❊ يُرسَمُ رَسمَ افتِخارِ

[الإِستطراد ـ المطابقة ـ الإِستعارة ـ الإِفتِنان ـ المقابلة]

واستطرَدوا مَن تجبَّر ❊ كَقَومِ فيلٍ طِغامِ
قلُّهم قَد تَوفَّر ❊ إِذ طابَقُوا خَيرَ حامِ
غُصنُ الأَماني تفتَّح ❊ حَيثُ استعارَ الفَلاحا
بِالاِفتِنانِ تَرنَّح ❊ علَّى وفاقَ قِداحا
قابِلهُ بِالشُّكر وافرَح ❊ في الكُبرِ بثَّ النُّواحا

(6) كذا في الأَصل المخطوط.



[الطي والنَّشر ـ الإلتِفات ـ الهزل الذي يُراد به الجدّ ـ إرسال المثَل ـ القَول الموجب]

الطَّيَّ والنَّشرَ فـاذكُر ... في ظَهرهم والعِظامِ
والــفَتهمُ تتبختَـر ... جُوزيتُـمُ بـاحتِـرام
هـازلهمُ الـجدَّ هَـزلا ... حُمرَ الثِّيابِ لَبِسـتُم
مَثَلـكُـم صـارَ يُتلَـى ... مِن ظُلمِكُم قَد بَئِستُم
قَد أَوجبَ الفخر قَولا ... لا تَحزَنـوا قَـد يَئِستُم

[التَّهكُّم ـ النَّزاهة ـ المراجعة ـ الإبهام ـ الإنتِقاض]

بُشرى لهُم قَد تدَمَّر ... حِصنُـهـمُ باهتِكـامِ
نزَّهتُ لَفظي ليُشكَر ... إِذ دَخلوا في الذِّمـامِ
قالوا نَتوبُ فقالوا ... لا تَرجِعوا قالـوا هُدْنا
وأَبـهَمـوا فأَحـالـوا ... واتَّـخـذوا الجِدَّ مَينـا
نَـقضُـهـم سَـيُـزالُ ... إِذا نَجَـوا أو صَفَحنـا

[القسَم ـ مُراعاة النَّظير ـ التَّصدير ـ الإكتفاء ـ الكلام الجامع]

وحـــقِّ نُـورٍ تَنـوَّر ... أقسمُ مـا شـامَ عامي
كيفَ يُراعـــي ويَنظُر ... مَن جَفنُه ذُو سَقــامِ
صَـدرُ الكمـالِ رَفيـعُ ... تصديـرُه لـهُ صَـدرُ
في الإكتفـاءِ مَنيــعُ ... يَنفـــي القُضَى ويُمرُّ
جَمعُ الكـلامِ جَميــعُ ... للفَصل شَـــانٌ وأَمرُ

[التَّورية ـ حُسن التَّخلُّص ـ الاقتباس ـ ما لا يستَحيل بالإنعكاس ـ التَّلميح والإحتراس]

قَد استَوى فَوقَ مِنبَـرِ ... تَوريـــةً بِاحتِكــامِ
تَخلُّـصـي لــه أَذكُـر ... أَصحـابَ خَيرِ الأَنَامِ
كَزَرعٍ أخرجَ شَطـاه ... لِـلـزَّهرِ منه اقتِبـاسُ
يُرقـي ويُغريكَ خَبـاه ... ولَم يُحِـلهُ انعِكـاسُ
قَد ضـاعفَ اللهُ بَداه ... يَـلـمَحُه الاِحـتِراسُ

[التَّوشيح ـ التَّسهيم والانسجام ـ بَراعة المطلب ـ الإيجاز ـ التَّعديد]

مُـوَشَّـحٌ مـنـه يَبهَـر ... صِنفانِ سـامٍ ونـامِ
مُسهَّـمُ الثَّوبِ أخضَر ... وغَيـثُه في انسِجـامِ
قَد بَـرعَ الجُــودُ منه ... فـلَم يُعَـنَّ بمـطـلَـبِ
سَـلِ المكــارِمَ عـنهُ ... تُوجِـزْ وتـاتِ بأقرَبِ
فَضـلٌ وجُـود وكُنهُ ... تعديـدُه لا يُـعـرَّبِ

[حُسن التَّعليل ـ بَراعة الخِتام]

تَـعليـلُـه لا يُـقـرَّر ... لأنه الفَيضُ هـامـــي
يَحسُنُ خَتمـا ومَصدَر ... كنَفحِ مِسكِ الخِتـــامِ
يـــا ربِّ بـالأكرَمـيـنَ ... صَحبِ النَّبيِّ المُطهَّر
مَن بلَّـغــوا المؤمنيـنَ ... دينًـا أَضـــاءَ وأزهَر
في صَفحةِ المادِحيـنَ ... يُكـتَـبُ هذا المُسطَّر

مِن فَيضِ فَضلِكَ أُؤجَر ... أحظى وتُرعَى ذِمامي
ومِن رَحيـــقٍ وكَـوثَر ... أَملأُ أعـظَـمَ جــامِ
وانشُر عَـلَـيَّ لـــواءً ... قَد شُدَّ فَوقَ الرُّؤوسِ
والوالدَيـــنِ انتمـاءً ... نَجِّـهـمُ كلَّ بُـــوسِ
والـمؤمنيـنَ سَـــواءً ... يُجلَونَ مثل العَروسِ

يشفَـعُ فيـنـا المُبرَّر ... مـلجأُ يَومِ الزِّحــامِ
عنـه الـصَّـلاةُ تُكـرَّر ... تَتبـعُ أَزكَـى الـسَّـلامِ



صورة الصفحة الأولى من النُّسخة المعتمدة


مسجد النور



تـأليفٌ في مسألة الوزيـعة

للشيخ الإمام أبي حفص عمر بن عبد الرحمن بن يوسف الجزنائي (كان حيا عام911هـ)

تمهيد

صحّ في السنة النبوية قوله ﷺ: (إنما بُعِثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) -كما في المقاصد الحسنة للسخاوي- (204)، فكان هذا مسار دعوة الإسلام منذ ظهورها، وإلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.

ومن مظاهر ذلك موقف الإسلام مما عُرف بالوزيعة، التي كانت تشكِّل في المجتمع الأمازيغي التقليدي الغابر، مظهرا أساسيا لمبدأ التضامن والتكافل الاجتماعي لمواجهة صعوبة الحياة.

وقد احتضن الإسلامُ هذه العادة الحميدة العتيقة حين وجدها فهذّبها وزادها حُسْنا وبهاءً، فتمّت على أكمل وجه، حيث جعلها تُجرى في ساحة المسجد تحت إشراف إمام المسجد.

ومع تخلّي بعض المساجد اليوم عن هذا الإشراف، الذي كان يقوم به في السابق الأشراف، ربما آلت لتكون نشاطا من نشاطات شباب الجمعيات.

تعريف الوزيعة:

لا نجد تعريفا للوزيعة في المعاجم والقواميس العربية، لكن من الواضح أن أصل اللفظة عربي، مشتقة من التوزيع، وهو التفريق والمشاركة.

وهي عادة قديمة جدا متوارثة منتشرة عند أمازيغ المغرب الإسلامي منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وتدعى لديهم بـ ثِيمَشْرَطْ أو لوزيعت، وقد تسمَّى في بعض الجهات بـ القرعة أو التويزة أو السهمة أوالنفقة.

وتتمثل في عملية اجتماع على ذبح لثور أو أكثر أو أغنام أو ماعز. ويشارِك ويتعاونَ فيها العرش أوجميع سكان الدشرة (القرية)، ويستفيدون غنيُهم وفقيرُهم من اللحم.

وهي بذلك مظهر بهيج من مظاهر التضامن والتآزر والتكافل، الغرض منه تمكين الفقير من تناول اللحم ولو مرّة واحدة في العام، لما في ترك تناوله من ضرر على صحة الجسم كما يقوله الأطباء.

ولذلك تجرى الوزيعة مرةً كل عام على الأقل، ويُتحرَّى لها مناسباتٍ دينية: كعاشوراء، ومواسم العام كالسنة الفلاحية واستقبال فصل الربيع، أو موسم الحرث والبذر أو وقت عودة مياه السقي إلى مجاريها بل وحتى عيد الفطر.

تبدأ عملية الوزيعة في اجتماع تحضيري لأعيان القرية (جَمْع القرية) وهو مجلس القرية المتكون من الضَامِنِيْن (طامن من كل عائلة في القرية)، ويتم الإشراف والاتفاق في المسجد عادة، إذ يتعرضون فيه لتفاصيل العملية من أولها إلى آخرها. ويشترك في تنفيذها معظمُ سكان القرية كلٌّ قدر استطاعته. فتُجمع التبرعات لشراء الأضاحي، وكلٌّ يدفع حسب استطاعته ويعفى منها الفقراء.

ويتم توزيع الأدوار والمهام: كإعداد مكان الذبح وإحضار بهيمة الأنعام ومباشرة ذبحها، فالشباب ينظفون مكان الذبح -وهو عادة ساحة المسجد-، بينما ينظم الشيوخ حلقاتٍ للذكر وتلاوة القرآن عن مقربة من المكان، مستقبلين صدقات وإعانات الزوار الوافدين، رافعين إلى الله تعالى وحده دعواتهم بالخير والبركة.

أما النسوة فيقُمْن بإعداد الحلويات والخفاف (السفنج) وأطباق الكسكس بمَرَق الخُضروات، وما يتعلق بضيافة الزوار الوافدين.

وفي الأخير تقسم الوزيعة على كل عائلة في القرية حسب عدد الأفراد، بعد عملية إحصاءٍ دقيقة دون إقصاء لأحد.

وهذه الوزيعة عُرفٌ مغاربي إفريقي، قد لا نجد له ذكرا على نمطه في التراث الفقهي المشرقي، لذلك لم يرد له ذكرٌ في المصنفات الفقهية المشرقية، فضلا عن مصنفات مفردة، إذا استثنينا:

- رَجَز في الوزيعة، من وضع أحمد الصوابي نزيل ماسة، من أعلام القرن الثاني عشر، ذكره المختار السوسي في مقدمة المعسول المسماة (سوس العالمة) (ص190).
- وهذا المصنَّف الهامّ النادر (مسألة الوزيعة) الذي نُقَدِّم له، وهو من تأليف الفقيه النحوي اللغوي أبي حفص عمر بن عبد الرحمن بن يوسف الجزنائي(كان حيا عام911هـ).



التعريف بالمؤلف

أقرب ترجمة للمصنِّف هي الترجمة التي وضعها العلاّمة أحمد بابا التنبكتي في "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"- رقم: 383، طبعة كلية الدعوة الإسلامية-ليبيا، ونصها:

"عمر بن عبد الرحمن بن يوسف الكزنائي(كذا محرفا صوابه الجزنائي) الفاسي، أحد فقهائها. كان شيخاً معمَّراً نيَّف على الثمانين سنة. له تعاليق رد في بعضها على مواضع من الشفاء، وعلى الخطيب الجد بن مرزوق. وتعقب عليه فيها الإمام أبو العباس الونشريسي وغيره.

كان حياً عام أحد عشر وتسعمائة. نقل عنه في "المعيار" في كتاب الجنائز، وأخذ عنه علي بن هارون وغيره". انتهت الترجمة من كلام أحمد بابا.

وجزنائة قبيلة أمازيغية نزلت شمال مدينة تازة، وإليها ينسب أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي كاتب أبي الحسن المريني الشهير والشاعر الفحل والطبيب المطعون(ت750هـ)، وكذا أبو الحسن علي صاحب التاريخ المتداول "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"،...

مؤلفاته:

هذا ما وقفنا عليه من آثاره:

1. أرجوزة في علم الأوفاق. خ بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا-المغرب تحت رقم: 165/13. كما في "خزانة التراث"(91857)، وعنوان هذه المنظومة كما جاء في نسخة أخرى بنفس الخزانة تحت رقم (12-237/11): "الكوكب المنير في صناعاتَيْ التوفيق والتكسير". مستفاد من "خزانة التراث"(91785)، وورد فيها اسم الشهرة: ابن زكريا.

2. شرح على منظومة في علم الأوفاق. خ في دار الكتب الناصرية بتامكروت.
وله نسخة في الخزانة العامة بالرباط (1531D)، كما في "خزانة التراث"(89780). ومنه نسخة أخرى تحت رقم(D491).
وهناك شرح للعلامة محمّد بن أحمد القلعي ابن (أبي) الصباغ على أرجوزة سيدي أبي حفص عمر الجزنائي الموسومة بالنور المنير في صناعتَيْ التوفيق والتكسير، خ بالمكتبة الوطنية بالمغرب.

3. رسالة في مسألة الوزيعة. وهي فتوى طويلة.. سيأتي نصها، والإشارة إلى نسخ مخطوطاتها قريبا. وقد تحرّفتْ في فهرس مخطوطات الغرب الإفريقي إلى (باب الذريعة).

4. فتوى أخرى طويلة حول ما جرى عليه العامة من ستر الموتى بالحرير. واردة في "المعيار" (الجزء الأول منه)، وقد أشار إليها أحمد بابا التنبكتي.

5. مجموع تعاليق، أشار إليه أحمد بابا التنبكتي. وهو تأليفٌ بديع جمعه بعضُ تلامذته مؤرَّخ في ربيع الأول عام 908هـ[1] انتقد فيه الجزنائيُ

بعضَ الأبيات للقاضي عياض في تشوُّقه إلى المدينة المنورة، عنوانه "الإعلام للقريب والنائي في بيان خطأ عمر الجزنائي"، وهو مشتمل على حواشٍ ومناقشات للونشريسي صاحب "المعيار المعرب". أورده كاملا بنصه وحواشيه العلاّمة المقرّيُ في "أزهار الرياض" (ج4/ص239-183).

النسخ الخطية لكتاب مسألة الوزيعة:

النسخة الأولى: وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية الباريسية ، في خاتمة مجموع تحت رقم:5311.

النسخة الثانية: نسخة بخط مغربي ورد ذكرها في فهرس مخطوطات مكناس رقم: 379 بعنوان: "مسألة الوزيعة" منسوبة لأبي حفص عمر بن عبد الرحمن الجزنائي، نسخها: محمّد بن إبراهيم بن منصور الأسفي، أولها: هذه مسألة الوزيعة وما أكثر فيها من الكلام حتى لحق فقهاء العصر.. صفحة واحدة ضمن مجموع 38، مقاسها: 20x29سم، تحبيس سيدي محمّد بن عبد الله العلوي على طلبة العلم بمكناس.

النسخة الثالثة: نسخة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم: (2598 د)، عنوانها: رسالة في مسألة الوزيعة.

النسخة الرابعة: نسخة المكتبة الوطنية التونسية تحت رقم:(A-mss-00610 11)، بخط مغربي بعنوان: "رسالة في مسألة الوزيعة على مذهب مالك"، رسالة11 ضمن مجموع به 14 رسالة (ق115-113)، أولها: هذه مسألة الوزيعة وقد أكثر الناس فيها الكلام حتى ألحق فقهاء العصر من بعض ضعفاء العقول...وعادة الناس فيها أن يشتروا شاة ويبيعون أسقاطها وشيء من لحمها وقد يَشتري شيئا من ذلك بعضُ الشركاء وقد يكون ذلك قبل القسم...
آخرها: قال اللخمي ثم يتراضيا بأن يأخذ هذا هذا وهذا هذا إذا استوى الوزن والقيمة أو بالقرعة وما قاله رضي الله عنه صواب إذ لا يجبر أحد منهم على أحد سهم من تلك السهام إلا إذا تراضوا أو بالقرعة تطييبا للنفس قالوا ويقوم من هنا جواز القرعة...(مبتور الآخر).



النسخة الخامسة: وهي ضمن "النوازل" التي ألّفها أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عيسى بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن عبد السلام بن مشيش الحسني العلمي (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) خ جامعة الملك سعود تحت رقم: 7306ف/1/1532، نسخت من301ق نسخت عام 1268هـ وناسخها محمّد بن محمّد بن قدور الغزوي الفلالي. نسخة حسنة بخط مغربي حديث. هذه الرسالة أوردها العلمي في نوازله كاملة ضمن مسائل البيوع، قال في أولها (ق94/ب-ق97/ب): وسئل الفقيه المُشارك سيدي عمر الجزنائي رحمه الله ورضي عنه بمنه عن مسألة الوزيعة فأجاب بما نصّه: قد أكثر الناس فيها الكلام حتى لحق فيها فقهاء العصر من بعض ضعفاء العقول فيها الملام، وعادة الناس فيها ....إلخ.

وقد عقبها بقوله: انتهى جواب الفقيه المحصل النبيه الشيخ المسن آخر الفقهاء وتاج البلغاء والفصحاء، شيخ شيوخنا أبي حفص سيدي عمر الجزنائي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به آمين، ومن خط الشيخ سيدي أحمد بن عرضون[1] نقلت انتهى.

وقد اتخذتُ النسخة الباريسية أصلاً، وقابلتُ عليه ما في مخطوطة نوازل العلمي، فجاء نصّا كاملا مطابقا أو على أقرب صورة وضعه عليها المصنِّف رحمه الله تعالى، فلله الحمد والمنة.

النصّ المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما.

قال الفقيهُ الأجل النحوي اللغوي أبو حفص عمر بن عبد الرحمن الجزنائي رحمه الله تعالى ورضي عنه بمنه وكرمه:

هذه مسألة الوزيعة[1]، وقد أكثر الناسُ فيها الكلام، حتى لَحِقَ فقهاءَ[2] العصر من بعض ضعفاء العقول المَلَام[3].

وعادةُ الناس فيها أن يشتروا شاةً ويبيعون أسقاطها وشيئًا من لحمها، وقد يشتري شيئا من ذلك[4] بعضُ الشركاء، وقد يكون ذلك قبلَ القسم -أعني قسم اللحم-[5]، وقبل أن يأخذ كلُّ واحدٍ نصيبَه منها، وقد يكون بعد ذلك، فذكر بعضُ الناس عن بعض فقهاء الأندلس أنه لا يجوز لأحدٍ من الشركاء أن يشتري من ذلك شيئًا.

ثم اختلف[6] فتاوى أصحابنا في ذلك:

- فمنهم من أجاز مطلقا،
- [ومنهم من ذُكِرَ عنه المنع مطلقا][7]،
- ومنهم من فرّق بين أن يكون امتاز كل واحد من الشركاء بنصيبه فيجوز، وإن لم يمتز كلُّ واحد بنصيبه فلا يجوز،
- ومنهم من توقف.

ثم إن بعض الناس لام كلَّ من أفتى فيها غاية اللَّوْم، وكأنه استنقص[8] فتاوى القوم، فكأنه رأى أن الوزيعة لا تجوز على ما يَصْنَعُ الناسُ اليوم، كأنه يرى أن قسمتَها بالتحرِّي لا تجوز، فكأنما أيقضني من النوم، فقلتُ له: إنما كان الكلامُ فيما يشتريه بعضُ الشركاء، وأن ذلك لا يجوز حسبما ذَكَر بعضُ الفقهاء؛ فنازع في ذلك حتى قال قولاً، وصَدَر منه ما السكوت عنه أولَى، فنَبْسُط الآن المسألة، ونتكلم عليها بكلامٍ هو إلى الاختصار أقرب من الإطناب، ونسأل من الله[9] سبحانه العون والتوفيق والهداية للصواب، فأقول وبالله سبحانه أستعين، وعليه اعتمادي في كل وقت وحين:

إني أودع كلامي فصولاً لِيَقْرُبَ[10] على مَن تأمَّله.

الفصل الأول: في الصفات التي تحتوي عليها المسألة.

الثاني: هل يجوز قسم اللحم بالتحرِّي أم لا يجوز إلا بالوزن [ليتحقق][11].

الثالث: هل القسمة بيعٌ أم هي تمييز حق.

الرابع: هل يجوز لأحدٍ من الشركاء أن يشتري شيئا من الوزيعة، أم لا يجوز [ذلك][12] سدًّا للذريعة.

فأما الفصل الأول: فالصفات التي احتوت[13] عليها المسألة ثلاث صفات:

الأولى: اشتراء الشاة.

الثانية: بيعُ الساقط.

الثالثة: قسمُ اللحم.

وكل صفة صحيحة في نفسها، إن وقعت على وجهها ولا تَخَالُف[14].

الفصل الثاني:

هل يجوز قسم اللحم بالتحري أم لا؟

فقد نص بعضُ أكابر أصحاب مالك رضي الله تعالى عنه، على جواز قسم الخبز واللحم بالتحرِّي، لأن أصلهما[15] الوزن، بخلاف ما أصلُه الكيل فإنه يُتوصل إلى قسمه ولو بالأحفان.

وانتقد عليه بعضُهم استثناء[16] الكيْل، قال: لأنه لا يجوز لأحدٍ أن يشتري من غيره[17] عشر حفنات، فألحق المكيل بالموزون.

قلتُ: وما قاله هذا المنتقدُ لا يلزم مَن قال في التحري[18] في الموزون دون المكيل، لأنه إنما منع ما قاله لأن مشتر حفنات[19] لا يدري ما اشترى هل [هو][20] صاع أو أقل أو أكثره[21]، والمطلوب من القسم أن يجعل لكل واحد من الشركاء قدر ما يحصل للآخر، وذلك يتوصل إليه بالأحفان.

وأيضا فقد قال أبو محمّد ابن أبي زيد رضي الله عنه[22]: اختبرتُ مُدَّهُ ﷺ بمكة والمدينة، فوجد فيه ملء الكف اليد[23] أربع مرّات، بحيث يكون صاحب اليد ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا يبسط يده جدا ولا يقبضها جدا[24].

قال الزناتي[25]: قد جرَّبْتُ[26] ما قاله أبو محمّد، [في مدٍّ ساقه أبو بكر بن وندار[27] معبِّرًا على مُدِّ زيد بن ثابت رضي الله عنه، فوجدناه كما قاله أبو محمّد][28]. فلا يلزم على هذا ما قاله هذا المنتقد لأن الأحفان قد تكون معلومة الكيل كما قال أبو محمّد. قال الحساني[29]: فلذلك لا يجوز قسم الطعام بالتحري لوجود المكيال، وهي[30] اليد، وهذا[31] عين ما استثناه من ذكرنا، يخرج[32] من هذا جواز قسمة اللحم بالتحري.

وهَبْ أن ثمَّ من يقول لا يجوز، فنحن أخذنا بقول من قال يجوز من [أكابر][33] أصحاب مالك، [ولو لم يحكم في شيء حتى يقع الاتفاق عليه لتعطلت الأحكام فإن ذلك][34] لا سبيل إليه.

ولم يزل الاختلافُ من لدن الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى هلم جرا.

وأما الاتفاق فلا يوجد إلا في ما قلَّ من المسائل ونزر، ولكن يُحمل الناسُ على قولٍ من الأقوال وإن كان ضعيفا جلبا للمصالح ودرءا للمفاسد، لا سيما إن كان ذلك تخفيفا[35].

الفصل الثالث

هل القسمة بيع من البيوع؟

فالذي ارتضاه بعضُ الفقهاء أنها إن كانت بالتراضي فهي بيعٌ من البيوع، وإن كانت بالقرعة فهي تمييز حقّ.

ويشهد لما قاله أن قسمة التراضي لا يقام فيها بالغبن، وقسمة القرعة يقام فيها بالغبن، ففارقت البيع من هذه الحيثية، فبَعُدَتْ من الربا.

وقسمة وزيعتنا [اليوم][36] إنما هي/بالقرعة، فهي إذًا تمييز حقٍّ، لأنها لا مصرف لها بعد القسم[37] إلا بالتراضي، بحيث يرضى كلُّ واحدٍ نصيبَه[38]. [أو بالقرعة فبذلك يتعين نصيبه][39].

ولا يتعين بمجرد القسم نصيبُ كلِّ واحد، وإنما يتعين بما قلناه، إذ لا يلزم [واحد منهم] بسهم من السهام دون تراض و لا قرعة. والقرعة في مسألتنا هي المطلوب[40]، وهي أسلم إذ هي مرجحة[41] لتميز الحق.

ولما ذَكَرَ صاحبُ المدونة أن قسم الحلي هو بالوزن، قال اللخمي: ثم يتراضيان بأن يأخذ هذا هذا، وهذا هذا، إذا استوى الوزن والقسمة[42] أو بالقرعة.

وما قاله رضي الله عنه صوابٌ إذ لا يُجْبَر أحدٌ منهم على أخذ سهم من تلك السهام، إلا إذا تراضوا، أو بالقرعة تطييبا للنفس.

قالوا: ويقوم من هنا جواز القرعة بعد قسمة[43] الوزيعة إذا استوت القسمة[44]. وإن كان ابن رشد قال: لا يجوز أن يقسم المكيل والموزون بالقرعة. فالذي قاله اللخمي هو الصواب، إذ لا يُلْزَم أحدٌ منهم بسهم معين. ونحن نأخذ بما قاله اللخمي.

الفصل الرابع:

وهو المهم عند القوم.

هل يجوز لأحد الشركاء أن يشتري شيئا مما يباع منها أم[45] لا؟

فقد فرضنا أن الصفقة[46] ثلاث:

الصفقة الأول: بيع الشاة.

فهذه الصفقة لا ارتباط بينها وبين الصفقتين الثانيتين[47]، لأن بائع الشاة أخذ ثمنها وانصرف بسلام. وبقي النظر بين الصفقتين الباقيتَيْن. فمن نظر إلى كل صفقة في نفسها [وجدها][48] جائزة، ولا ارتباط بينهما، قال بالجواز.

ومن نظر إلى ما يدخل يد[49] كل واحد من الشركاء وما يخرج من يده بعد انقضاء الصفقتين، قال بالمنع. وهنا توقفٌ تعارضتْ عنده الأدلة.

والحق عندي أن ذلك جائز، وليس هناك ما يُتّقَى ولا تضم الصفقة[50] لآخر إلا إذا كانت هناك تهمة كما في بياعات الآجال، وصورتها أن يشتري مُشْتَرٍ من بائعٍ سلعةً بعشرة دنانير إلى شهرٍ [مثلًا][51]، ثم يبيعها مشتريها من بائعها له بخمسةٍ نقدًا فهذان يتهمان أن يكونوا قصدا ذلك[52]. فيُنظر إلى ما دخل يدَ[53] كلِّ واحدٍ منهما وما خرج:

فخرج من يد المشتري الآخر[54] خمسة دنانير [على أن يأخذ عشرة إلى أجل، ودخل يد الآخر خمسة دنانير، على أن يؤدي عشرة دنانير] إلى أجلٍ ربًا[55]. فهنا تَضم الصفقةُ الثانيةُ الأولَى[56] لأجل التهمة.

وفي مسألة الوزيعة، إذا ضُمَّتْ الصفقةُ الثانية للأولى، شك أنه[57] يدخل بيد كل [واحدٍ][58] من الشركاء البائعيْن دراهم ولحم، [وخرج من أيديهم لحمٌ] ودخل بيد المشتري منهم لحمٌ، وخرج من يده لحمٌ ودراهم. وهذا ربًا، إلا أنه ليس هناك تهمة توجب ضم صفقة لأخرى.

ولو كانت كلُّ صفقة تضم لأخرى[59] سواء كانت هناك تهمة أو لم تكن، لكانت صور بيع الأجل[60] كلها ممنوعة، وليس الأمر كذلك، بل إذا لم تكن هنالك تهمة فلا تضم[61] صفقة لأخرى كما إذا باعها مشتريها من بائعها له بأكثر مما اشتراها منه نقدا أو باعها له بأقل مما اشتراها منه لا يعد من الأجل، فهنا لا تضم صفقة لأخرى إذ لا تهمة هنا.

ولو أضيفت كلُّ صفقة لأخرى لمنع مطلقا لحقت التهمة أو لم تلحق. / فكيف وأئمتنا -رضوان الله تعالى عليهم- صرَّحوا بأن موجب الضم إنما هي للتهمة[62]. وليس في مسألتنا تهمة توجب الضم.

وأيضا فإن الأصل عدم الضم، ولا يجب [الضم][63] إلا بدليل، ومن نازع في ذلك وأكثر القول والقيل، قيل له: ليس لك إلى مخالفة الأصل من سبيل. وذكر عن بعضهم أنه قال: هما[64] صفقة واحدة يعني القسمة والاشتراك[65].

قلتُ: وهذا قولٌ ضعيف قريبٌ من الافتراء؛ بل هما صفقتان، وكل واحدة منهما انفردت بزمان فأيُّ دَلَالةٍ تدل إحداهما على الآخر[66]؟ فإني لا أرى بينهما اتهاما[67] فهل تدل عليهما مطابقة أو تضمنا أو التزاما؟

فالجواب[68] أن نُصفح عن قائل هذا ونقول سلاما. وهذا بيِّنٌ لمن قذف الله تعالى في قلبه نورَ الانصاف فاهتدى بدليل [نور][69] العلم، وجنب التعسف والخلاف.

ثم إن هذه الوزيعة التي كانت عندنا بفاس، هي منذ نيِّفٍ وخمسين سنة. والذي أذن فيها الوزير المرحوم أبو زكرياء رحمه الله تعالى ونفعه بنيَّته، وقصد بذلك الرِّفْق بالمسكين. والناسُ من حينئذ يقسمون اللَّحْم بالتحرِّي ويشتري بعضُ الشركاء من بعض السّاقط والجلد وغيره، وعمَّتْ البلوى بذلك. وأئمة المغرب [إذ ذاك][70] متظافرون وهم [الأئمة][71] الأعلام، وبأيديهم كانت رايةُ الإسلام، ولم يسمع من أحد منهم في ذلك إنكارٌ ولا ملام. والناسُ إذ ذاك ناس والزمان زمان، وبهم كان الناس يقتدون في سائر الأوطان.

ولا يجوز [لهم][72] السكوت على ذلك لو رآه[73] غير جائز، فسكوتهم على ذلك مع استدامته وتكراره في زمانهم[74] دليلٌ على الجواز عندهم، لولم نجد في ذلك نصًّا، فكيف ونحن وجدنا في المسألة ما ذكرناه، وسكوتهم على ذلك كلُّهم هو الإجماع السكوتي.

وهَبْ أن في المسألة خلافا فسكوتهم على ذلك رضًى منهم بذلك القول، وإجماعٌ منهم على العمل به[75]./ والعمل عند مالك حجّة، وعمل أهل المدينة مقدَّمٌ[76] عنده لأنها مُسْتَقَرُّه ﷺ، ومُسْتَقَر الخلفاء بعده.

ومن المعلوم أن أعلام أئمة الدين إنما يكونون[77] حيث مستقر الخلافة.

وأعلامُ ديننا إنما كانوا بفاس، وعلومُهم كانت منتشرة في المغرب[78] في سائر الناس، فكيف يسكتون على [هذا][79] المنكرِ الذي يعمّ[80] البلوى؟ لأن[81] إجماعهم على السكوت عنه فسقٌ، وحاشاهم من ذلك رضي الله تعالى عنهم.

وأيضا فإن الشرع[82] إنما هو جلبُ مصلحةٍ ودرء مفسدة، وأهلُ كلِّ عصرٍ هم أعلم بجلب مصالحهم ودرءِ مفاسدهم[83]، فقد يُحمل الناسُ على قولٍ شاذٍ لمصلحةٍ، كما هو الأمر[84] في وجوب اليمين على المدَّعَى عليه من غير إثبات خلطة، وكالقضاء بالذهب في الدراهم السوء.

ومَن قال: إن إجماعَهم على ذلك يحتمل أن يكون خطأ، فقد أجاز أن اجتماعهم على الضلالة، و[قد][85] قال ﷺ: {لا تجتمع أمتي على ضلالة}

وسمعتُ[86] من بعضهم أيضا، أن قسمة التحري في اللحم[87] إنما ذلك للضرورة لعدم وجود الميزان، ولا ضرورة [تدعو][88] إلى ذلك، لأنه يعلم أنه لا يجد ميزانا بسوق الخميس فيجب حمله من البلد.

والجواب: إنه لا يجب عليه حمل الميزان ولو كان عنده، فأحرى إن لم يكن عنده. فلو وجب ذلك في حق من أراد الوزيعة مع [أن][89] الميزان لا يكون إلا عند آحاد الناس، لوجب حمل الماء على المسافر الذي يقصد أرضا وهو يعلم أنه لا يجد بها[90] ماء يتوضأ به، مع أن الماء موجودٌ وليس بمفقود. ولم يقل به أحد.

وقد سُئل بعضُ الفقهاء في راعٍ غنمٍ يتوجه [بها][91] لأرضٍ لا ماء بها، هل يجب عليه حمل الماء ليتوضأ به؟

قال[92]: لا يجب عليه حَمْلُ الماء لأن ذلك من الحرج، وقال تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، وقال ﷺ {دين الله يسر}. وعجبا من هؤلاء الذين تعرَّضوا[93] للتضييق على المسلمين في غير ما موضع، ومن هذا المسألة[94]:

الموضع/الأول، قالوا: لا يجوز لأحدٍ من الشركاء أن يشتري من شركائه شيئًا من الوزيعة[95].

فأجاب أكثرُ أصحابنا بالجواز.

الموضع الآخر، قالوا: القسمة بيعٌ من البيوع فهي مُعرَّضة[96] للربا.

فوقع الجواب بأن[97] القسمة بالقرعة، فهي[98] تمييزُ حقٍّ، وإن كانت أيضا بيعًا، فإن ذلك لا يجوز [لأنه بيع اللحم باللحم تحريا][99].

مع أن الراجح فيها تمييز حق، لأن[100] قسمتها بالقرعة.

الموضع الآخر، قالوا: القسم فيها بالتحري والتحري لا يجوز في الموزون.

فوُجِدَ مَن يقول يجوز بالتحري، فقالوا: لا يجوز التحري إلا لضرورة. فوقع الجواب بما ذكرنا[101].

قالوا: القرعة لا يجوز بالمكيل والموزون، فوقع الجواب بما قلناه.

فاللّه ما أولع هؤلاء بالتضييق على الناس[102]، فحسيبهم الله رب العالمين. وما أحسن جواب المفتي سيدي أبو عبد الله المكناسي إذ أفتى بالجواز مطلقا، وقال: ليس هنا[103] ما يُتَّقَى إذا سلموا من قسمة الدراهم مع اللحم.

فخرج من جميع ما ذكرنا[104] أن قسمة اللحم بالتحري جائزة، وأن القرعة بعد قسمة الشيء الموزون جائزة، وأن قسمة قرعة هي تمييز حق، وأن للشريك أن يشتري من شريكه ما شاء: الساقط والجلد[105] وغيره.

ومن أراد أن ينتقد ما ذكرناه[106] فليتأهب للتذكار وليكتب، ويقل: "قولُكم كذا صوابه كذا بدليل كذا" ليكون عرضة للنظار، ويأتي بما ليس فيه خلافٌ ليكون علينا حجة[107].

وإن أتانا فيه[108] خلافٌ، قيل له انصرفْ واسلك سبيلَ المحجة[109].

ولا يُسْتَنْقَصُ أحدٌ من فقهائنا -وإن أفتى بما أفتى به-، إذ كلهم اجتهدوا[110] في تنزيل المسألة، وكلهم مصيب في ما اقتضى[111] دليله.

انظر إلى قضية الغنم التي حكم فيها داوود وسليمان عليهما السلام، ثم قال تعالى ﴿ففهمناها سليمان﴾ ثم قال تعالى ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾.

ومن ادعى غير ما قلناه فاسْتَنْقَصَ[112] أئمتَنا قلنا له: (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) لعلنا نستفيد منكم/فائدة؟

ونصوص [الأئمة][113] بيننا وبينكم شاهدة، فيقابل[114] إذ ذاك المنصوص بالمنصوص[115] ونبني على ما هو منها ثابت[116] كالبنيان المرصوص.



ثم إني قلتُ في ذلك:

تأهّب للتذكار إذا رُمْتَ نقده[117]

وبرهن عليه حين تنقض عقده[118]

فبهذا لعمر الله باب مفتّح

فيا عجبا ممن يعالج سدَّه

يريد إله العرش يسر بخلقه[119]

ويأباه أقوامٌ يريدون ضدَّه

فاعجبْ[120] بهذا القوم كل عجيبة

عطاءً من الرحيم[121] يبغون ردَّه

[هذا ما عندي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته].[122]

انتهى بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما.

--

جاء في آخر النوازل للعلمي:

انتهى جواب الفقيه المحصِّل النبيه الشيخ المسن آخر الفقهاء وتاج البلغاء والفصحاء شيخ شيوخنا أبي حفص سيدي عمر الجزنائي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به آمين، ومن خط الشيخ سيدي أحمد بن عرضون نقلت. انتهى

ملحق

فتاوى متعلقة بالوزيعة في المعيار المعرب للونشريسي

[مسألة في الوزائع واقتسامها بالكيل وبالجزاف]

وسئل الفقيهُ أبو عبد الله الجعدالة عن الوازئع التي جرت عوائدُ الناس بها في الأماكن، هل يجوز لأهل الوزيعة أن يسوقوا سقط الوزيعة فيما بينهم وبين من حضرهم من سائر الناس ممن لم يكن لهم فيها سهم، وذلك أبقاكُم الله من غير أن يستخلص أحدٌ من أهلها سَهْمَه ولا عَرَفَه؟

وهل الجزاف في الوزيعة أفضل من الوزن أو الوزن أفضل؟

وهل الجزاف من يد عارف به وبتقسيط جائز؟ ومن غير العارف به غير جائز مع كونه جزافاً كله ومجهول الوزن؟

وقد اختلف فيه العامة وجعلوا في النازلة حلالاً وحراماً، فعسى جوابكم في المسألة.

فأجاب: الجواب، وباللّه التوفيق، أن أهل الوزيعة لا يجوز لهم أن يسوقوا الساقطة فيما بينهم قبل قسمتها ولا بعد ذلك، لأنه يؤول إلى أن يفرد أحدُهم بلحْم وساقط، وبعضهم بلحم ودراهم، وذلك رباً لا يحل ولا يجوز.

وقسم اللحم يجوز على الوزن وعلى التحري، والوزن أولى وأرجح، والتحري رخصة، ولا يجوز إلا من عارف، وأما من غير عارف فلا يجوز، لأنه يؤول إلى الجهل بالتماثل، وهو فيما يجب فيه التماثل كتحقق التفاضل.

[هل يجوز لأصحاب الوزيعة تقويم الجلد والدوارة قبل الذبح؟]

وسئل فقيه بجاية سيدي أبو عزيز عن جماعة اشتروا بهيمةً للذبح ويوزِّعون لحمَها على أسهم بينهم، فبعد الشراء قوَّموا الجلد والدوارة قبلَ الذبح بثمن كذا، وما بقي من الثمن يسقطونه على عدد الأسهم، ثم يذبحونها ويقسِّمُون لحمَها بالتحرِّي، ويأخذ كلُّ واحدٍ منهم سهمه بالقرعة.

هل يجوز هذا أم لا؟

فأجاب: إن كان هؤلاء الذين يقوِّمون الجلد والدوارة تقويمًا فيما بينهم بغير إلزام لأحد منهم، بعد الذبح وخروج الدوارة، من أرادَ أخذها لا شيء عليهم في ذلك التقويم، ولا يضرهم.

وأما القسمة بالقرعة فلا تجوز في التحري ولا في المكيل والموزون والله تعالى أعلم.

[حكم قسم اللحم في الوزيعة]

وسئل سيدي عيسي بن علال عن مسألة الوزيعة.

فأجاب بأن قال: كان شيخنا أبو عيسى موسى العبدوسي رحمه الله يقول: إن قسمت وزنًا، فإن شاؤوا اقترعوا، وإن شاؤوا تركوا على ما قال اللخمي في قسمة القرعة.

وإن قسمت تحريا، فهذا موضع القرعة. ثم ذكر عن الباجي في قسمة الثمار في رؤوس النخل بالتحري أنه قال: وعندي أن هذه القسمة لا تجوز إلا بالقرعة، وهو ظاهر قول أصحابنا، لأنها تمييز للحق. وأما المراضاة فبيع محض. انتهى.

ونقل ابن زرقون عن سحنون أنه قال: لا يكون في قسمة المكيل والموزون السهم، يريد القرعة.

وكذلك عندي ما قسم بالتحري، لأن ما تساوى في الجودة والجنس والقدْر، لا يحتاج إلى سهم، كالدنانير والدراهم. انتهى.

وهذا النقل خلاف ما قاله الباجي أولًا. والظاهر ما قاله الباجي. والوزيعة تَجري عليه.

[القسمة في الوزيعة بالقرعة أو التراضي]

وسئل سيدي علي بن علال عن مسألة القرعة في الوزيعة.

فأجاب عن شيخه أبي عيسى موسى بن محمّد العبدوسي - رحمه الله - 8/129] أنه كان يقول: إن قُسمت وزناً فإن شاؤوا اقترعوا وإن شاؤوا تركوا على ما ذكره اللخمي في قسمة القرعة. وإن قسمت تحرياً فهذا موضع القرعة.

ثم ذكر عن الباجي في قسمة الثمار في رؤوس النخل بالتحرّي أنه قال: وعندي أن هذه القسمة لا تجوز إلا بالقرعة، وهو ظاهر قول أصحابنا بأنها تمييز حق. وأما المراضاة فبيع مَحضٌ انتهى.

ونقل ابن زرقون عن سحنون أنه قال لا يكون في قسم المكيل والموزون السهم، يريد القرعة.

وكذلك عندي ما قسم بالتحرّي. لأن ما تساوى في الجودة والجنس والقدر لا يحتاج إلى سهم كالدنانير والدراهم انتهى.

وهذا النقل خلاف ما نقله الباجي أولاً، والظاهر ما قاله الباجي والوزيعة وتجري عليه.

(1) "مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية والفقهية" لمحمّد بن أحمد الأمراني، مجلة دعوة الحق العدد 286 صفر-ربيع -1ربيع 2/ شتنبر-أكتوبر-نونبر1991.

(2) أحمد بن الحسن بن عرضون (ت992هـ).

(3) في نوازل العلمي: وسئل الفقيه المشارك سيدي عمر الجزنائي رحمه الله ورضي عنه بمنه عن مسألة الوزيعة فأجاب بما نصه: قد أكثر الناس فيها الكلام...إلخ.

(4) في نوازل العلمي: حتى لحق فيها فقهاء العصر. (5) في نوازل العلمي: من بعض ضعفاء العقول فيها الملام.

(6) في نوازل العلمي: وقد يشتري ذلك. (7) أعني قبل قسم اللحم. (8) اختلفت. (9) زيادة من النوازل. (10) استقصى فيها. (11) نسأل الله.

(12) فيقرب. (13) ليست في النوازل. (14) ليست في النوازل. (15) تحتوي. (16) ولا يخالف في ذلك أحد. (17) أصلها. (18) استثناءه.

(19) صبرة (كذا). (20) بالتحري. (21) مشتري عشر حفنات. (22) ز من النوازل. (23) أكثر. (24) رحمهاالله.

(25) فوجدتُ فيه ملء كف اليد. (26) بعدا ولا يقبضها. (27) الزياتي. (28) جربنا.

(29) كذا ولعل صوابه: منداد، وهو محمّد أبو بكر بن خويز منداد.مترجم في ترتيب المدارك(7/77،78)، وشجرة النور الزكية(1/154).

(30) مستدرك من النوازل. (31) المحاسبي. (32) هو. (33) وهو. (34) فخرج. (35) زيادة من النوازل. (36) زيادة من النوازل.

(37) تحقيقا. (38) ز من النوازل. (39) بالقسم. (40) فحينئذ يرضى كل واحد بما أخذ. (41) ز من النوازل. (42) المطلوبة. (43) من جهة.

(44) القيمة. (45) قسم. (46) القيمة. (47) أو. (48) الصفقات. (49) التاليتين. (50) ز من النوازل. (51) بيد. (52) صفقة.

(53) ليست في النوازل. (54) قصدا إلى ذلك. (55) بيد. (56) الأخير. (57) فهذا ربا. (58) للأولى. (59) لا بد أن. (60) ليست في النوازل.

(61) للأولى. (62) بياعات الآجال. (63) يضم. (64) إنما هو التهمة. (65) ليست في النوازل. (66) هذه. (67) الاشتراء.

(68) فأي دلالة تدل على ضم إحداهما للأخرى. (69) التزاما. (70) والجواب. (71) ز من النوازل. (72) ز من النوازل. (73) ز من النوازل.

(74) ليست في النوازل. (75) رأوه. (76) زمانه. (77) فسكوتهم على ذلك رضي الله عنهم دليل على العمل به، والعمل عند مالك حجة.

(78) هو المقدم. (79) يكون. (80) منشورة في سائر الناس. (81) ز من النوازل. (82) تعم به. (83) وإن. (84) الشراء.

(85) وأهل كل عصر إنما يجلبون مصالحَهم ويدرءون مفاسدَهم. (86) الآن. (87) ليست في النوازل. (88) وسمعنا.

(89) في الأصل: اللحم في اللحم، والتصويب من النوازل. (90) ليست في النوازل. (91) ز من النوازل. (92) فيها. (93) ليست في النوازل.

(94) فقال. (95) يتعرضون. (96) في غير ما موضع من هذه المسألة. (97) من الشركاء أن يشتري لحما من شركائه من الوزيعة.

(98) عرضة. (99) أن. (100) هي. (101) ليست في النوازل. (102) في. (103) ذكرناه. (104) المسلمين. (105) هناك.

(106) ذكرناه. (107) الجلد والساقط. (108) ذكرنا. (109) حجة علينا. (110) وإن أتى بما فيه. (111) الحجة. (112) مجتهد.

(113) مقتضى. (114) واستنقص. (115) ز من النوازل. (116) فنقابل. (117) النصوص بالنصوص. (118) ثابت منها.

(119) قصده. (120) عهده. (121) بفضله. (122) عجبا لهذا. (123) الرحمان. (124) ز من النوازل.



عن ابن عباس رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"..إن أفضل جهادكم الرِّباط.."

رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (11138) بإسناد جيد.



بدايـة الطباعة وظروف ظهورها بالجزائر

المطبعة الثعالبية أنموذجا 1896 ـ 1998م





ظهور الطباعة

تضاربت أقوال المؤرِّخين في تاريخ ظهور الطباعة، وفي تحديد اسم مخترعها، والمشهور عند الأوروبيِّين أن المهندس الألماني غوتنبرغ (Gutenberg) هو أول مَن اخترع آلة الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر، غير أن هناك أدلة كثيرة تشير إلى أن الصينيِّين هم أول مَن استعملوا الطباعة في تصفيف الحروف ونشر المعارف.

انتشرت الطباعة في أوربا فكانت إيطاليا هي الرائدة في هذا النشاط بعد ألمانيا، فأنشأت مطبعتها الأولى سنة 1465م، كما أنَّ أول مطبعة تأسَّست بفرنسا كانت سنة 1470م.

وأما في العالم الإسلامي فأول مطبعة تأسَّست كانت في سوريا سنة 1706م، ثم باستنبول سنة 1726م، ثمَّ بإيران سنة 1791م، ثمَّ بمصر سنة 1822م، ثم بالجزائر سنة 1830م، ثم بتونس سنة 1861م، ثم بالمغرب سنة 1865م.

دخول الطباعة إلى الجزائر

كان دخول الطباعة إلى الجزائر سنة 1830م عن طريق الحملة الاستعمارية الفرنسية بقيادة الكونت دي بورمون، الذي فكر في كل شيء يخص الحملة العسكرية ضد الجزائر إلا المطبعة، فلما نبِّه أبدى تأسُّفه، وأمر وهو في طريقه من باريس إلى مارسيليا برا أن يشترى له لوازم الطباعة وآلاتها، واتفق مع مختصين من مدينة طولون (Toulon) لمرافقته في هذه الحملة.

دخول الطباعة إلى الجزائر

أصبحت هذه المطبعة تحمل اسم: المطبعة الإفريقية.

وأول منشور نشر بالجزائر هي صحيفة ليستافات (L'estafette) في 26 جوان سنة 1930 بشاطئ سيدي فرج.

وهي جريدة عسكرية سياسية تاريخية توزع على الجنود وترسل إلى فرنسا للاطلاع على أخبار الحملة.



زار الأَمير عبد القادر بعد خروجه من السِّجن سنة 1852 المطبعة الرَّسمية بباريس وشاهد سحبَ رسالته التي أرسلها إلى نابليون ورأى حركة الآلات وتصفيف الحروف وسمع أَصوات الدَّواليب فسجَّلَ إعجابه في رسالة بعثها إلى مدير المطبعة، جاء فيها:

إنَّنا زُرناكم فرأَينا مِن صنعتِكم شَيئًا ما بقيَ لنا أَن نَتعجَّبَ مِن شيءٍ بعدَه.

أسباب تأخُّر ظهور الطباعة في الجزائر

لما كانت الطباعة من أهم الوسائل التي تسهم في عملية نشر العلوم وتوسيع المعارف وتثقيف الناس، أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو:

لماذا تأخَّر وجودها في الجزائر بحوالي ثلاثة قرون من ظهورها ؟ هل كان السبب في ذلك:



1. دينيا
2. أو ثقافيا.
3. أو اجتماعيا وسياسيا.

أشهر المطابع العربية بالجزائر

1. المطبعة الثعالبية بالعاصمة: 1896م.
2. مطبعة النجاح بقسنطينة: 1919م.
3. المطبعة العلاوية بمستغانم: 1924م.
4. المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة: 1925م.
5. المطبعة العربية بالعاصمة: قبل سنة 1926م.
6. مطبعة البلاغ بالعاصمة: حوالي سنة 1925م.


المطبعة العلاوية بمستغانم سنة 1924م

المطبعة الثعالبية

كانت تحمل اسم مطبعة رودوسي قدور مراد، نشأت سنة 1896م، وكان قدور بن مراد من سكّان جزيرة رودس، ويتاجر في الكتب مع مطابع من لبنان ومصر، واستقرَّ بالجزائر في أواخر القرن التاسع عشر، فأنشأ مكتبة ومطبعة تخصَّصت في نشر الكتب الدِّينية.

تقع المطبعة بالقصبة في شارع مصطفى بن إسماعيل (أحمد بوزرينة حاليا).

كان يعمل بها مجموعة من الخطاطين، أشهرهم:
1. الأستاذ عمر راسم.
2. الشيخ السَّفطي.



كما كان يعمل بها مجموعة من المصحِّحين، من أشهرهم: الأستاذ نور الدين عبد القادر.

نماذج من مطبوعات المطبعة الثعالبية

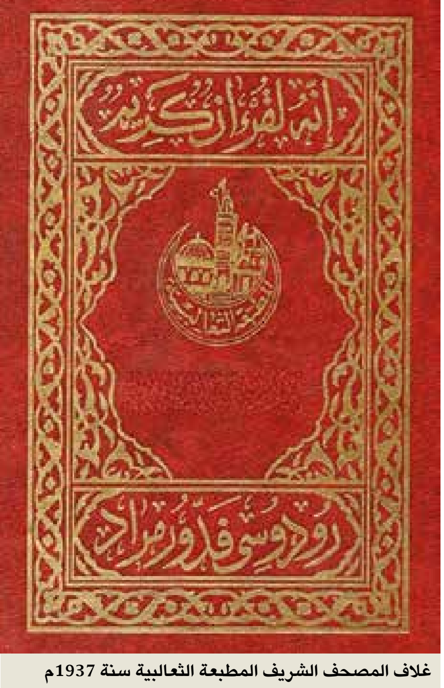
أهم إنجاز قدمته المطبعة الثعالبية للقراء الجزائريِّين خصوصا وللعالم الإسلامي عموما، هو طبعها للمصحف الشَّريف ونشرها له بخط جزائريٍّ جميل يشهد لناسخه الأستاذ عمر راسم بحسن الإبداع وجمال السَّبك.

وله أربع طبعات مشهورة:
الأولى سنة 1931م.
والثانية سنة 1937م
والثالثة سنة 1971م، طبعة مراجعة ومصحَّحة.
الرابعة سنة 2011م، بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.


قرآن مجيد
لا يمسه إلا المطهرون
طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر
لصاحبها رودوسي قدور بن مراد التركي
طبع جديد
سنة ١٣٥٠
١٩٣١




صورة المصحف الشريف المطبعة الثعالبية سنة 1931م



غلاف المصحف الشريف المطبعة الثعالبية سنة 1937م

خاتمة
كتب هذا المصحف على ما به رواية الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد القرشي المصري المعروف بورش لقراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني

صورة بها شهادة على سلامة هذه النسخة من الأخطاء

ويظهر في الأسفل ختم الشيخ محمّد علي الضباع مراجع المصاحف بمصر.

الجواهر الحِسان في تفسير القرآن

ثاني أهم إنجاز قدمته المطبعة الثعالبية للقراء الجزائريِّين خصوصا وللعالم الإسلامي عموما، هو طبعها لتفسير الإمام عبد الرحمن الثعالبي عالم الجزائر وصالحها.


الجزء الثالث
من
كتاب
الجواهر الحسان في تفسير القرآن
الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي
رحمه الله ورضي عنه
طبع في المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة ١٣٢٥
حقوق الطبع محفوظة



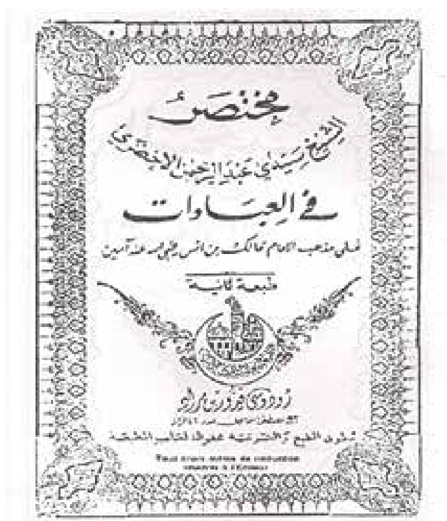
اعتنى بنشره وتصحيحه الشَّيخ محمّد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري، معتمدا في تحقيقه على سبعة نسخ مخطوطة. سنة 1325هـ/1905م


صورة الشيخ محمّد بن مصطفى ابن الخوجة

ومما طبع أيضا:

- المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع سنة 1324هـ/1908م.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني سنة 1328هـ/1910م.
- التبصرة في قراءة العشرة للشَّيخ محمّد بن أبي القاسم البُجليلي سنة 1323هـ/1914م.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم المديوني سنة 1326هـ/1908م.
- الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض للحافظ عبد الرحمن السيوطي سنة 1325هـ/1907م بعناية محمّد بن مصطفى ابن الخوجة.
- المنتخب مِن أشعار العرب جمع الأستاذ نور الدين عبد القادر.
- تَحبيرُ المُوشين في التَّعبِير بالسِّين والشِّين للعلامَة الحافظ اللغوي الفيروز آبادي سنة 1327هـ/1909م.
- توهين القول المتين للعلامة عبد الرَّحمن الديسي.

★ مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري للعلامة سيدي عبد الرحمن الأَخضري.



★ الثلاثة الأصول في التوحيد للشيخ محمّد بن عبد الوهاب النجدي.

-ترجمة مختصر الشيخ الأخضري بالفرنسية للشيخ عبد الرحمن الأَخضري ترجمة الأستاذ نور الدين عبد القادر والأستاذ هنري جاهيي.

- ديوان قصائد في مدح الرسول ﷺ. سنة 1333هـ/1914م.

منار الإشراف على فضل عُصاة الأَشراف للشاعر عاشور الخنقي سنة 1332هـ/1914م.

- غزوات عرُّوج وخير الدِّين اعتنى بتصحيحه الأستاذ نور الدين عبد القادر سنة 1353هـ/1934م.
- مجموع القصائد والأَدعية جمعها الأستاذ نور الدين عبد القادر سنة 1920م
- سلَّم المرشد المعين على الضَّروري مِن علوم الدِّين للأستاذ علي بابا عمر.
- متن العاصمية تحفة الحكَّام في نكت العقود والأحكام للشيخ أبي بكر بن عاصم الغرناطي سنة 1346هـ/1928م.
- المجموعة المباركة في الصلوات المأثورة والأعمال المبرورة للشيخ محمّد بابا عمر
- متن ابن عاشر المرشد المعين على الضروري من علوم الدين للشيخ أبي محمّد عبد الواحد ابن عاشر سنة 1346هـ/1928م.



- مثلثات قطرب للشيخ أبي علي محمّد بن المستنير المعروف بقُطرب سنة 1325هـ/1907م
- الوفيات لابن قنفذ للشيخ ابن الخطيب القسنطيني، طبع بمصر.



كما طبعت نشريات إشهارية بها قوائم الكتب المكتبة والمطبعة الثعالبية

من الطرق الإشهارية لترويج الكتب التي تباع على مستوى المكتبة الثعالبية أو التي نُشرت على مستوى المطبعة كانت هذه الأخيرة تقوم في كل سنة بنشر قائمة تضم عناوين الكتب المتوفرة لدى مكتبتها مع عرض أسعارها.





خاتمة

خير ما نختم به دعاء ختم القرآن الوارد في المصحف الشريف الذي نشرته المطبعة الثعالبية:

اللّهمَّ هب لنا به الخير والسعادة والبشارة والأمان ولا تختم لنا بالشر والشقاوة والضلالة والطغيان آمين أمين آمين يا رب العالمين.

بارك الله فيكم ونفع الله بكم.

ع. دويب

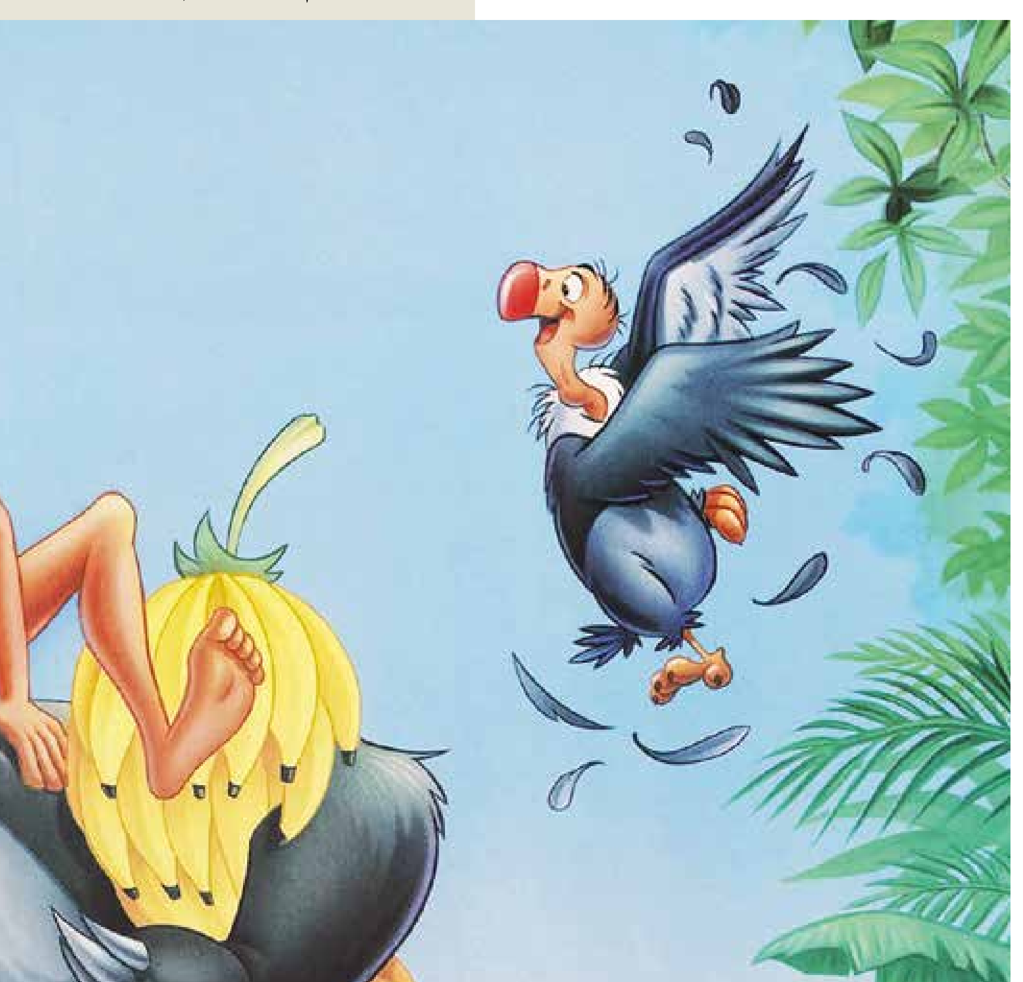


صورة الأصل الفرنسي لشريعة الغابة

قصة موغلي

الأستاذ محمّد صالح رمضان - رحمه الله تعالى -

ملحوظة: لم أتقيد في تعريب هذا بألفاظه ولا بميزانه، وخصوصا كلمتا الذئاب والجراميز اللتين أبدلتهما بالليوث والأشبال تبعًا لآدابنا الشرقية، ونظم كشافتنا الإسلامية.



(موغلي) عنوان قصة طريفة يحبها أشبال الكشافة وفتيانها، لأنها تصور مظاهر حياتهم الكشفية كاملة في شخص (موغلي)، وبها يتوصلون إلى فهم أسرار الكشفية وأغراضها، بأسلوب قصص جذاب.

والقصة تجعل من موغلي إنسان الغاب بحق: فتنشئته في أحضان الغابات والأدغال من نعومة أظفاره، بين الوحوش والسباع، إلى أن يشب ويكتهل.

وهي تشبه قصة حي يقظان من عدة وجوه، غير أن حيا أرضعته ظبية، وموغلي أرضعته ذئبة كما سنبين ذلك. وقصة روبنسون كروزو في التربية الاستقلالية والاعتماد على النفس، ولكن روبنسون أتى الغابة شابا مكتمل الفتوة مستجمع القوة متدرعا بحكمته وتجاربه مزودا بعلوم ومعارف وقته مسلحا بأجهزة وأدوات زمانه وموغلي جاءها خلوا من ذلك كله فقد أتاها قبل الفطام غضا طريا ضعيف الجسم عاريا.

وتشبه قصص إيمن دريس والصنم ولكريتيكون في جوهرها وبعض أفلام تارزان في مظهرها وغير ذلك من القصص التربوية والمواضيع الفلسفية التي تؤثر في تربية الإنسان الطبيعية على غيرها من المربين فتقصى الإنسان عن عالم الإنس وترمى به في أحضان الطبيعة ليعيش وحيدا فريدا متكلا على نفسه غير معتمد على أحد ثم لا يلبث أن يسمو به التفكير ويحلق به التأمل في خلق الله مع اخشيشان طبائعه وتوحشه حتى تكتمل إنسانيته وقد يعود إلى المجتمع الإنساني. فيجد نفسه أحسن من بني جنسه المتحضرين المتمدنين طهارة نفس، وصفاء عقل، ومتانة خلق، وصحة جسم، وكمال بنية، كما حكى مثل ذلك ابن الطفيل عن حي بن يقظان.

وخلاصة قصة موغلي:

أن حطابا هنديا كان يسكن وأسرته كوخا متواضعا قرب غابة من غابات الهند الشرقية فهجم عليهم ذات ليلة شرخان فتشرد من فيه ووقعت بينه وبينهم معارك طاحنة ومطاردات عنيفة، لاذ منها الشرخان بالفرار وكان بالكوخ طفل رضيع بدأ يمشي حديثا فخرج في تلك الأثناء يبحث عن أبويه فضل في الغابة ودخل إلى غاركان به ذئب وذئبة، يحضنان جراءهما الصغيرة فاندس بينها الجرو البشري وشاركها في لبن أمها وأعجب الذئبان من جرأة هذا اللاجئ الصغير وتبنياه مع جراميزهما وأطلقا عليه اسم موغلي أي الضفدع لأنه كان عاريا شبيه بالضفدعة وخصوصا إذا حبا.

ومن تلك الليلة بدأ موغلي حياته الجديدة في وجار أكيلا الذئب الطيب القلب الذي كان لحسن حظ موغلي سيد ذئاب هذه المنطقة ورئيسها المطاع فنشأ مع جرامازه يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب ويخرج معها إلى الجهات القريبة والبعيدة للعب معها والتعرف إلى جراميز أخرى وحيوانات أخرى واكتشاف الجهات المجهولة والتمرن على فنون الغابة من عدو وقفز وصيد وقنص وتسلق أشجار أو جبال وتتبع أثر وغير ذلك من الأعمال.

وهكذا عاش موغلي في الغابات والأدغال بين الذئاب والثعالب وغيرها من السباع والوحوش يتعلم منها الذكاء والفطنة وخفة الحركة وإباية الضيم والتحسس من كل شيء إلى أن بلغت حدة حواسه مبلغها وقويت عضلاته وصلب عوده واخشوشنت طباعه وكان يستعمل عقله في كل ما يرى من مخلوقات الله كالشمس والقمر واختلاف الليل والنهار إلى غير ذلك من آيات الله الكونية الكفيلة وحدها بهداية العاقل إلى وجود الله وقدرته.

وفي هذه الحياة المليئة بالمغامرات والمخاطرات والتي لا تخلو هي الأخرى من المتاعب والمصاعب ومن الخير والشر والعدل والظلم كان لموغلي أعداء ألداء وخصوم أقوياء كما كان له أصدقاء مخلصون وأنصار أشداء فمن أنصاره الكبار أكيلا قائد الذئاب وزعيم شعب الأحرار الذي تبناه وحماه من كل سوء وكان موغلي لا يعرفه له أبا غيره وبالو الدب البني العجوز الذي كان يلقن موغلي وجراميز الذئاب قوانين الأدغال وشرائع الغاب وباغيرة النمر الأسود الذي تهابه الحيوانات وتخشى أن تعترض طريقه وقد كان السبب في





قبول موغلي ضمن أهل الغابة يوم قدمه أكيلا إذ فداه بثور عظيم وكان يحبه حبا جما.

أما الأعداء الألداء فكان على رأسهم شرخان الببر الأعرج الذي هجم في الماضي على أبوي موغلي الحقيقيين فلما لم ينل منهما وطرا وشاهد التجاء ولدهما إلى وجار أكيلا بقي يترصد له ويتربص له ويتربص به الدوائر لافتراسه فلما يئس من ذلك وخشي من أنصاره الأقوياء سعى له بالكيد والفتنة بين الذئاب التي عاش معها يوغر صدورها على هذا الدخيل الغريب فيها وكاد يفلح لولا انتباه القائد اليقظ أكيلا الذي وضع حدا للفتنة التي لو بقيت لالتهمته والتهمت ربيبه وأعانه على إخمادها بالو وباغيرة المخلصان لموغلي.

وبقدر ما أخفق الشرخان مع الذئاب أفلح مع بنات آوى التي تحتقرها الذئاب ولا تقيم لها وزنا لملقها وخداعها ولأنها لا تعيش من صيدها هي كما تفعل الذئاب بل من الفضلات التي تلتقطها من هنا وهناك كالكلاب فكان الشرخان يتألفها بما يقدم لها من عظام صيده التي لا تغنى من جوع فطاوعته وانقادت له بزعامة طاباك سيد هذه الكلاب المهينة التي تخلق المتاعب وتثير الفتن حيثما كانت.

ومن غريب أمر هذه الحيوانات الحقيرة أنها على الرغم من ضعفها وجبنها قد تصبح أكثر أهل الغابة استعدادا للشر إذا جاعت، فإذا تمكن منها الجوع أصابها جنون يشبه الكلب في الكلاب المسعورة فتنسى جبنها وخوفها وتنقلب إلى حيوانات شرسة مخيفة يختبئ منها الكل حتى الببر والشرخان صاحباهما...

هذه صورة مصغرة لقصة موغلي الطريفة التي تتسع لميع مظاهر الحياة الكشفية والنزوات الحيوانية وتحتوي على جملة صالحة من أسرار الخليقة ونظم الكون.

أقدمها كتنبيه لمن شاء الاطلاع عليها من غير الكشافين ولتكون وسيلة لفهم كثير من هذه الأسماء الهندية التي تستعملها الكشافة العالمية وقد استعملتها أنا أيضا وخصوصا في النشيدين التاليين.ـ

هـلـم جميـعا	*	إلى الصيد نسعى
فقد طاب مرعى	*	جميـع الوعـول
أبـا شبل هـيـا	*	إلى الصيد جـريا
ولا تخش شيـا	*	يـروع الفحـول
فـهـذا أكيـلا	*	يقـود الرعيـلا
وبالـو دلـيـلا	*	لنـا في الحقـول
وذاك بـغـيـرا	*	نصـرا خطيـرا
جميـعا ظهيرا	*	لنـا في الرحيل
وأمـا طـبـاك	*	ففـي الارتبـاك
ومن بالو شـاك	*	لـشرح يـطـول
وشرخـان ولى	*	من الرعب كـيـلا
يلاقي أكـيـلا	*	وجيشـا يصـول

نحو الصيد أيضا

(على لحن لعبة خفى واعلى فوق الحبل)

هيا هيا

نسـعـى سـعـيا	*	نحو الصـيد
الآمـال لا تـنـال	*	بسوى الجُهد
والأعمـال يا أشبـال	*	أسُّ المـجد

هيا هيا

فالشرخـان ثعلبـان	*	عند الـكيـد
والطبـاك في ارتباك	*	ليس يُجـدي
لا تخـافـوا فالخوف	*	شخص معد

هيا هيا

هذا القـائد هو الـرائد	*	في ذا الصيد
والباغيرة حامي الجيرة	*	رأس الـجند
حتى البـالو يا أشبـال	*	رمز الـمجد

هيا هيا



الكسل عن المطالعة



"الحقّ أقول إن شبابنا المتعلّم كسول عن المطالعة، والمطالعة نصف العلم أو ثلثاه.
فأوصيكم يا شباب الخير بإدمان المطالعة والإكباب عليها، ولْتَكُن مطالعتكم بانتظام حرصا على الوقت أن يضيع في غير طائل. وإذا كنتم تريدون الكمال فهذه إحدى سبل الكمال".

"الآثار الإبراهيمية"(1/154).



قواعد في العلم والعمل



قال الإمام المهدي بن تومرت(ت524هـ) رحمه الله تعالى ورضي عنه:

شروط العلم تسعة، وهي:
الفراغ التام، والبصيرة النيرة، والسريرة الحسنة، والهمة العالية، والصبر الحديدي، والاقتداء بالإمام الناصح، واتباع السبيل الواضح، والتأدّب بأدب أهله، وأن لا يُبتغَى به ما سوى وجه الله تعالى.

وينبغي لطالب العلم أن يقدم أربعة أشياء:
أن يرغب إلى الله تعالى في الهداية إلى الحق، وأن يكون له سريرة حسنة، وأن يقنع بما علّمه الله، وأن يعلم أن الباب مفتوح لسائر العباد.

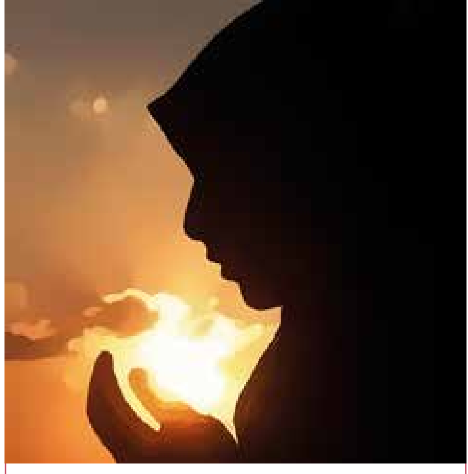
والأعمال لا تصلح إلا بتقديم أربعة أشياء:
الحذر، والاحتياط، والإشفاق، والإخلاص.

والقواطع عن العلم أربعة:
الحوادث الصارفة، واشتغال النفس، وعدم الكفاف، ومخالطة الناس.

آداب الصحبة ثمانية:
المسالمة، والمسامحة، والمساعدة، والمناصحة، والمؤازرة، والمواصلة، والمحافظة، والمكارمة.

وكان دعاؤه رضي الله عنه: اللّهم أعنّا على طاعتك، وأتمم علينا نعمتك، وزدنا من فضلك وإحسانك، وثبِّتنا على دينك، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

(نقله ابن القطّان المراكشي في كتابه "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"(ص169).



أخلاق نساء السلف

روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء(5/198) من طريق ضمرة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قالت امرأة سعيد بن المسيب:
"ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم: أصلحك الله، عافاك الله".

وأخرجه بسنده الحافظ ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (رقم:546)؛ وعلقه الحافظ ابن الجوزي في زاد المسير(1/201)، وجاء فيهما: (ابنة) عوض (امرأة).

أمي

شعر: د/ أحمد الخاني

هززتِ السريرْ ... كبرتُ رويداً
وإني صغير ... رويد الصبا
فرشت جفونك ... أصول أجول
مهد الحرير ... وأحبو حبا

تهدهد لي: ... كبرت غدوت
أنت يا مهجتي ... إلى روضتي
أعدك للنور ... وفائي وحبي
يا بسمتي ... إلى أمتي

سهرت الليالي ... رضعت الوفاء
جنيت السها ... لأمي الحنون
ينام فؤادي ... أعيش حياتي
بجوف الهنا ... لديني المصون





قسيمة الإشتراك

☑ أرغب في الإشتراك في مجلة العصر باشتراك سنوي (12 شهر) **بقيمة 3000 دج**

معلومات عني

☐ السيد ☐ السيدة ☐ الآنسة

اللقب ______ الإسم ______

إسم المؤسسة ______

العنوان ______

الرمز البريدي ______ الولاية ______

الهاتف ______ الفاكس ______

البريد الإلكتروني ______

تملأ القسيمة وترسل إلى:

مجلة العصر
01، نهج محمد عليلات، القبة - الجزائر 16006.
هاتف: 65 17 80 0662
asr.algerie@live.fr

وسيلة الدفع

صك بنكي للمؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية
التحويل لأمر أو لحساب مجلة العصر

رقم الحساب الجاري البريدي:
C.C.P(RIP) 00799999000035379210
رقم الحساب البنكي:
B.N.A (RIB)00100605030000389322
وكالة605، 8شارع الحرية - الجزائر.

التاريخ والتوقيع


هدية العدد


مجلة العصر
الحق في المعرفة